شخصيات من الحرمين الشريفين (٤٥)

العباس بن عبد المطّلب (٢)

محمد سليمان.[١]

ملخّص البحث :

تـرك تاريخـاً مهـمًّا، مليئاً بمفاصـل عديدة؛ أنشـطة تخصُّ البيـت الحرام و رعايـة روّاده و خِدمتهـم، و أُخـرى إجتماعية و تجاريـة، فهو من كبار أشراف قريـش و وجهائها، و تجّار مكـة و مرابيهـا، و بمواقف اجتماعية مشـهودة بالجرأة و الخبرة و النصيحـة، و أُخرى أدبية غلبـت عليها الحكمة، و ضمّـت قليلاً من الشـعر الخطابة.

تاريـخ يتعلّـق بـه، و بالمسـجد الحـرام و معالمـه و وظائفـه، و بمـن حولـه مـن قبائـل و شـخوص، و بالبعثـة النبويّـة المباركـة في عصرهـا المكّي فالمـدني... لعلَّ القليـل هو من يُخلـف تاريخـاً بسـعته، و تعـدّد فصولـه و مراحلـه... يعـود هـذا إلى بيئته و نشـأته في بيت هاشـمي مكّـي كريـم ؛ عـرف بالـشرف و الخلـق الطيـب و المعرفـة، و بالمكانـة المرموقـة

---

١. محقق وباحث ديني .

البـارزة بـين قبائـل قريـش، يعـود أيضـاً إلى قدراتـه الذاتيـة، و نظراتـه البعيـدة، و أفكاره الواسـعة المنبثقـة مـن تجربتـه الطويلـة الممتدة عـلى مسـاحة عُمرٍ قارب التسـعين سـنة... هـذا و غـيره مـا سـنتوفّر عليـه في مقالتنا!

* * *

(وَ يَوْمَ حُنَيْن):

﴿لَقَـدْ نَصَرَكُـمُ اللهُ فِي مَوَاطِـنَ كَثِـيرَةٍ وَ يَوْمَ حُنَـيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُـمْ كَثْرَتُكُـمْ فَلَمْ تُغْـنِ عَنكُـمْ شَـيْئاً وَ ضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَـا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُـم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْـزَلَ اللهُ سَـكِينَتَهُ عَلَى رَسُـولِهِ وَ عَلَى الْمؤْمِنِـينَ وَ أَنـزَلَ جُنُـوداً لَّـمْ تَرَوْهَـا وَ عـذَّبَ الَّذِيـنَ كَفَـرُواْ وَ ذلِـكَ جَـزَآءُ الْكَافِرِينَ * ثُـمَّ يَتُـوبُ اللهُ مِـن بَعْـدِ ذلِـكَ عَلَى مَـن يَشَـآءُ وَ اللهُ غَفُـورٌ رَّحِيمٌ﴾.[1]

حُنين، ذلـك الـوادي الـذي يقع بين مكـة و الطائـف. وقعت فيـه معركة كـبرى و به سـمّيت بين المسلمين.

وقعـت المعركـة بـين قبيلتـي هـوازن و ثقيف في آخر شـهر رمضـان أو في شـوال أو في العـاشر منـه مـن السـنة الثامنـة للهجـرة النبويّـة المباركـة، بعـد أن تمَّ فتـحُ مكة مـن قبل رسـول اللهﷺ، و خـرج منهـا، فكانـت درسـاً بليغـاً للمسـلمين، فكـما أنَّ معركـة بـدر الكـبرى علّمتهـم أنَّ قلّتهـم مقابـل تفـوّق أعدائهـم، لم تكن مانعـاً لهم من تحقيق النصـر المبـين، فـإنَّ كثرتهم عدداً و عـدّةً في يوم معركة حنين قياسـاً إلى قلّتهم يـوم بدر و مواقعهم الأخـر، و إلّا لا يكـون قياسـاً إلى ما جمعته قبائل هـوازن و ثقيف من عـدد تجاوز العشرين إلى ثلاثـين ألـف مقاتل، و مـن عدّة عظيمة من أسـلحة و جِمال و خيول سـاقوها معهم..، فضـلاً عـن أنَّ مالـك بن عوف سـاق مع النـاس أموالهـم و نسـاءهم و ذراريهـم ؛ ليُقاتل

١. سورة التوبة: ٢٥ – ٢٧ .

كلُّ امرئ عن نفسه و ماله و أهله ؛ أوليجعل كلّ رجل أهله و ماله وراء ظهره، فيكون أشدّ لحربه.

أموال كثيرة جلبوها معهم مع نسائهم و أبنائهم، وضعوها بين أيدهم، و لم يُبقوا شيئاً خلفهم؛ اعتقاداً منهم و من قائدهم مالك بن عوف أنَّ هذا يدعو إلى ثبات جنده في المعركة، و زيادة معنوياتهم و اندفاعهم و تضحياتهم و استبسالهم في قتال المسلمين، فهي في نظره معركة حاسمة عليه أن يُعدَّ لها إعداداً عظيماً عدّةً و عدداً و معنويًّا؛ و أن لا مفرَّ من القتال، بعد أن ظنَّ أنّ المسلمين بعد أن فتحوا مكة؛ سيتوجهون إليه لا محالة؛ و لهذا قدّم كلَّ شيء هو قادر عليه في معركته هذه، و بالتالي فإنَّ المسلمين لم يكونوا أكثر منهم عدداً و لا عدّةً. و مع هذا راح بعض المسلمين ينظر بإعجاب إلى جمع المسلمين و يقول: لَنْ نُغْلَبَ اليومَ مِنْ قِلَّةٍ! غافلاً أنَّ القلّة لا تضرهم شيئاً إن صدق إسلامهم و تعلقهم بالله تعالى، فقد كنتم في وقعة بدر الكبرى أقلَّ عدداً و أضعف قوّةً و كتب الله لكم النصر فيها. ﴿**وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾.[1]

وكذا في مواطن أُخر، لم تكن لهم فيها قوّة ولا عدّة ولا عدد. ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ**﴾.

الشيخ الطبرسي: اللام للقسم، فكأنه سبحانه أقسم بأنه نصر المؤمنين أي أعانهم على أعدائهم في مواضع كثيرة على ضعفهم و قلّة عددهم ؛ حثًّا لهم على الانقطاع إليه، و مفارقة الأهلين و الأقربين في طاعته، و ورد عن الصادقين عليهما السلام أنهم قالوا: «كانت المواطن ثمانين موطناً».[2]

حلّت بهم هزيمة كبرى؛ هزموا بكثرتهم، و إنما وقع ذلك بهم: ﴿**إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ**

---

١. سورة آل عمران : ١٢٣ .

٢. مجمع البيان : الآية .

﴿كَثْرَتُكُمْ﴾، إِذْ سرَّتكم كثرتُكم، و صرتم بها معجبين، حين قال بعضهم، أو قال رجل منهم و قد أبهرته كثرة المسلمين: لَنْ نُغْلَبَ اليومَ مِنْ قِلَّةٍ! فالعيب في الإعجاب و الغرور الذي أصابهم، و جعلهم يبتعدون عن آيات قرآنيّة عديدة، منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.[1]

﴿وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.[2]

إلّا فإنَّ السماء هي التي أمرتهم قائلة لهم: ﴿وَ أَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَ عَدُوَّكُمْ وَ آخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَ مَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾.[3]

هذا الأعجاب الذي ولّد في نفوس بعضهم الغرور، أنساهم ذكر الله تعالى، و الغفلة عن قوّته، و أنه هو الذي ينصرهم ، و جعلهم هذا العجب و الزهو و الغرور في انشغال بقوّة غير قوّته عزّوجلَّ، و بُعِد عن أسباب النصر الحقيقية، غير ذاكرين تلك الانتصارات في مواطن عديدة، و قد كانوا قليلي العدد و العدّة، فإذا بهم يوم حنين في درسٍ بليغ و خطير حين احتدم القتال ؛ حُجب النصر عنهم موقتاً ؛ أن ذاقوا الهزيمة حيناً، و أحسوا بضيق أنفسهم و الأرض من حولهم على سعتها و ترامي أطرافها، و إذا بهم يفرون مولّين أدبارهم.

إنَّه صوت العباس بن عبد المطلب!

فبهزيمتهم أعادهم الله تعالى إليه، إلى ميدان القتال، يسحضرون قوّته و غلبته

---

١. سورة محمد : ٧ .

٢. آل عمران : ١٢٦ .

٣. سورة الأنفال : ٦٠ .

و أسباب نصره، و بعد أن لم يُعِد وعيَهم إليهم إلّا صوتٌ جوهري انطلق يملأ الأجواء و الآفاق من حولهم، و يعلو هاماتهم ؛ إنَّه صوت العباس بن عبد المطلب، و كان جسيماً جهورياً صيتاً، أمره رسول الله صلى الله عليه وآله لما رأى القوم انهزموا عنه بعد ساعة، و كانوا اثني عشر ألفاً. و قيل: إنهم كانوا عشرة آلاف. و قيل: ثمانية آلاف، و قد مرَّوا به لا يلوون على شيء.

قال الشيخ المفيد: و لما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله هزيمة القوم عنه، قال للعباس ـ وكان رجلاً جهورياً صيّتاً -: «نادِ في القوم و ذكرهم العهد»؛ فنادى العباس بأعلى صوته: يا أهل بيعة الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة، إلى أين تفرّون؟ اذكروا العهد الذي عاهدتم عليه رسول الله صلى الله عليه وآله.

و في خبر: «اصعد هذا الظرب، فنادي يا معشر المهاجرين و الأنصار، يا أصحاب سورة البقرة، يا أهل بيعة الشجرة إليَّ، أين تفرّون؟ هذا رسول الله!

و في خبر أنَّ نبيَّ الله صلى الله عليه وآله قال: «أيْ ربّ آتِني ما وعَدْتَنِي». و العباس آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: «نادِ! يا مَعْشَرَ الأنْصارِ و يا مَعْشَر المُهاجِرِينَ».

فجعل ينادي الأنصار فخذاً فخذاً، ثم نادى: يا أصحاب سورة البقرة قال: فجاء الناس عُنُقاً واحداً. أو عنه: «ياعباس! ناد أصحاب السمرة، و كنتُ رجلاً صيّتاً».

فلما سمع المسلمون صوت العباس تراجعوا و قالوا: لبيك لبيك! و رسول الله صلى الله عليه وآله ينادي: «إليَّ يا عباد الله»!

فعادت صفوف المقاتلين و تلاءمت و تآزرت قوّةً و صلابةً، و تبادر الأنصار خاصة، و قاتلوا المشركين، و صوت رسول الله صلى الله عليه وآله يُباركهم: «الآن حمي الوطيس»!

أنا النبيُّ لا كذبْ أنا ابن عبد المطلب!

الآن حمي الوطيس

أنا النبيُّ لا كذبْ أنا ابن عبد المطلب

لقد ثبت رسول الله صلى الله عليه وآله في نفر من بني هاشم، و هو راكب بغلته الشهباء، و العباس آخذ بركابها الأيمن، و سفيان بن الحارث بن عبد المطلب آخذ بركابها الأيسر؛ يُثقّلانها لئلا تسرع، و نوفل بن الحارث و ربيعة بن الحارث في تسعة من بني هاشم، و عاشرهم أيمن ابن أمِّ أيمن و قتل يومئذٍ، فيما بقي عليٌّ عليه السلام و معه الراية يقاتل المشركين في نفر قليل، و مرَّ المنهزمون برسول الله صلى الله عليه وآله لا يلوون على شيء. في ذلك يقول العباس:

نَصَرْنا رَسُولَ الله في الْحَرْبِ تِسْعَةٌ ... وَقَدْ فَرَّ مَنْ قَدْ فَرَّ عَنْهُ فَاقْشَعُوا
وَقَوْلي إذا مَا الْفَضْلُ كَرَّ بِسَيْفِهِ ... عَلَى الْقَوْمِ أُخْرى يا بُنَيَّ لِيَرْجعُوا
وَعاشِرُنا لاقَى الحِمامَ بِنَفْسِهِ ... لِما نالَهُ في اللهِ لا يَتَوَجَّعُ

في خبر أنَّ العباس قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم حنين، فلزمت أنا و أبوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وآله فلم نفارقه، و رسو الله صلى الله عليه وآله على بغلة.

هذا و لما كان العباس آخذاً بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله يوم حنين، و أقبل يومئذ نفرٌ من بني ليث من كنانة يريدون رسول الله صلى الله عليه وآله، فدنا منه أحدهم، فاحتضنه العباسُ و أحدق به موالي رسول الله، فقال العباس لأقرب الموالي منه: اضرب و لا تتق مكاني و لا تبل أينا قتلت، فقتل الموالي الليثي، و جاء أخو المقتول فرفع يده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً، فاحتضنه العباس، و قال كما قال أولاً فقتل، حتى فعل ذلك بستة منهم، فدعا له النبيُّ صلى الله عليه وآله و قبّل وجهه. و في يوم حنين يقول العباس:

ألا هل أتى عرسي مكرّي ومقدمي ... بوادي حنينٍ و الأسنّة تُشرع
وقولي إذا ما النفس جاشت لها قدي ... وهامٌ تدهدهُ والسواعد تقطع
وكيف رددت الخيل وهي مغيرة ... بزوراء تعطي باليدين وتمنع
كأن السهام المرسلات كواكب ... إذا أدبرت عن عجسها وهي تلمع

وما أمسك الموت الفظيع بنفسه ولكنه ماضٍ على الهول أروع
نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فرّ من قد فرّ عنه وأقشعوا
وعاشرنا لاقي الحمام بسيفه بما مسّه في الله لا يتوجّع

و منها:

حنوت إليه حين لا يحنأ امرؤ على بكره والموت في القوم منقع

ومنها:

وقولي إذا ما الفضل شد بسيفه على القوم أخرى يا بُني ليرجعوا

وفي السير لابن إسحاق :

نصرنا رسول الله في الحرب سبعة وقد فرَّ من قد فرَّ عنه وأقشع
وثامننا لاقى الحمام بسيفه بما مسّه في الله لا يتوجع

و قال ابن إسحاق: السبعة، عليٌّ عليه السلام، و العباس، و الفضل بن العباس، و أبو سفيان بن الحارث، و ابنه جعفر، و ربيعة بن الحارث، و أُسامة بن زيد، و الثامن أيمن بن عبيد .

و في قول: يعني بالسبعة: نفسه صلى الله عليه وآله، و علي بن أبي طالب عليه السلام، و الفضل بن العباس، و أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، و أسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، و أبا رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، و أيمن بن عبيد أخا أسامة لأمّه أمّ أيمن.

و يقال: إنَّ السابع مكان أيمن بعض ولد الحارث بن عبد المطلب، و يقال: إنهم العباس، و علي عليه السلام، و أبو سفيان بن الحارث، و عقيل بن أبي طالب، و عبد الله بن الزبير، و الزبير بن العوام، و أسامة بن زيد، و بنو الحارث، يقولون: إنَّ جعفر بن أبي سفيان شهد حنيناً أيضاً!

و أخيراً نزل النصر من عند الله تعالى، و انهزمت هوازن هزيمة قبيحة، فمرُّوا في كلّ وجه، و لم يزل المسلمون في آثارهم... فإذا بهم يقتلون فريقاً، و يأسرون فريقاً،

و يغنمـون غنائـم كثـيرةً و إذ هـي جميعاً بـين يدي رسـول الله صلى الله عليه وآله،[1]

و في شـهر شـوال مـن العـام ٨ هـ، و في بلـدة في الحجاز على مسـافة ٦٥ ميـلاً من مكة كانـت غـزوة الطائـف ؛ لملاحقـة الفلـول الهاربـة من غـزوة حنين، مـن مشـركي هوازن و ثقيـف، فشـهد العباس هـذه الغزوة مع النبيِّ صلى الله عليه وآله و حصاره لهم... و بعدها بسـتة أشـهر في رجـب من السـنة التاسـعة هجرية، وقعـت غزوة تبـوك، و حمل يومئذٍ فيهـا رجلين من المسـلمين أمدّهمـا بالـزاد و الراحلـة، و تبرّع بتسـعين ألفاً مـن ماله إعانة لجيش المسـلمين، و هـو يقـف مع النبيِّ صلى الله عليه وآله و يشـهد هذه المشـاهد ؛ يتذكر كلام أخيه أبي طالـب رضوان الله عليـه، يوصيـه و أخاه الحمـزة و ابنيه عليًّـا و جعفراً:

أوصي بنـصر النبـيّ الخـير مشـهده ... عـليّاً ابـني وعـم الخـير عبّاسـا
وحمـزة الأسـد المـخشيّ جـانبه ... وجعفـراً أن تـذودا دونـه الناسـا
كونـوا فـدى لكـم أمّي ومـا ولدت ... في نـصر أحمـد دون النـاس أتراسـا

أو:

أوصي بنصـر نبـيِّ الخـير أربعـةً ... ابنـي عليًّـا و شـيخ القـوم عبّاسـا
وحمـزة الأسـد الحامـي حقيقتـه ... وجعفـراً أن تـذودوا دونـه الناسـا.[2]

---

١. أحمـد بـن يحيـى البـلاذري، أنسـاب الأشراف ٢ : ٥٨٥ـ٥٨٦ ؛ ابـن عبد البـر، الاسـتيعاب في معرفة الأصحـاب: العبـاس بن عبـد المطلب ؛ طبقات ابن سـعد ؛ الإصابـة في تمييز الصحابة ؛ أسـد الغابة؛ فتـح البـاري، شرح صحيـح البخـاري ؛ المسـتدرك عـلى الصحيحـين ٣ : ٤٣١٦ ـ ٦٥٥١ ؛ العلّامـة المجلسـي، بحـار الأنـوار ٢١ : ١٥١ ؛ وانظـر التفاسـير، منهـا: تفسـير الميـزان للعلّامـة الطباطبائـي، و تفسـير القمـي ١ : ٢٨٧ـ٢٨٨ .

٢. الشـيخ المفيـد، إيـمان أبي طالـب: ٤٨ ؛ ديـوان أبي طالـب بـن عبـد المطلب ؛ للسـيد علي خـان المدني، الدرجـات الرفيعـة في طبقات الشـيعة : ٦١ .

الربا :

مـا إن تحـلّ الجاهليـة في مجتمـع إلّا و حوّلتـه إلى مجتمـع يتصـف بالفـوضى في مفاصل حياتـه، فالقيـم الحسـنة يُطـاح بهـا، و تغـادره الرحمـة و قيمهـا، و تنهـار فيه مبـادئ الخير، و أفعال قبيحة تنتشر فيه، و أخلاق فاسـدة تسـوده، و رذائل تنخـر فيه، و المصالح تحكمه. فينمـو فيـه الظلم، و يسـود فيه الطغيان، و اسـتغلال النـاس، و حاجتهـم و عوزهم، و ما الربـا إلّا مـن تلك الظواهر السـيئة السـائدة في الجاهلية، ذات الأضرار الخطـيرة على الفرد و المجتمـع، و التـي ورثها عـربُ الجاهلية من اليهود، الذيـن قال تعالى عنهـم: ﴿**وَأَخْذِهِمُ الرِّبَـا وَ قَـدْ نُهُـواْ عَنْهُ وَ أَكْلِهِـمْ أَمْوَالَ النَّـاسِ بِالْبَاطِلِ**﴾.[1]

﴿**وَقَـدْ نُهُـواْ عَنْـهُ**﴾. أي عـن الربـا الـذي يأخذونـه مـن النـاس، فهم أخـذوه لا عن جهـل و لا عـن قلّـة تنبيـه، فقـد نهـوا عنـه، و لكنهـم أصروا عليه.

﴿**وَ أَكْلِهِـمْ أَمْـوَالَ النَّـاسِ بِالْبَاطِـلِ**﴾، بالربـا وبغـيره من الوسـائل... لقد اسـتباحوه في معاملـة غيرهـم، حتـى انتـشر في تعامـلات العـرب في العـصر الجاهـلي ، و راح هؤلاء العـرب الذيـن ورثـوه مـن أُولئك اليهـود، يتمسّـكون بـه، يتفانون مـن أجلـه، و يقفون مدافعـين عنـه؛ لمـا يعـود عليهم بأربـاح كبـيرة، و أمـوال طائلة، غـير مبالين بـما يتركه من آثـار مجحفـة بحقّ الآخريـن، فللربـا في الجاهلية فوائـد جمّة يكسـبها ربّ المـال، و كلُّ همّه المـال و الأربـاح، غـير مبـالٍ بـما يتركـه فعله هـذا مـن أضرار على الإنسـان الآخـر، حتى و إن خـسر هـذا الآخـر، أم أُفقـر، أم أصابـه الضيـم و الـذل، بـل حتـى و إن هلـك! إذن كانـت للربـا في الجاهليـة مفاسـده و شروره القاتلـة للإنسـان و لكرامته و حقوقـه، و كان لـه مرابـون أفـراداً و بيوتـات، و كانـت لهـم بـما عندهم مـن أمـوال و قيود، سـلطة مخيفة هائلـة في المجتمـع تتحكـم فيه.

و إذا بوقفـة قرآنيّـة عظيمـة: ﴿**فَأْذَنُواْ بِحَـرْبٍ مِّنَ اللهِ وَ رَسُـولِهِ**﴾ لتُطيح بهـذه الظاهرة

---

١. سورة النساء : ١٦١ .

الخطيرة التي شاعت و تجذرت في الواقع يومذاك، فجاءت: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ ذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ**﴾.[1]

خطاباً للذين كانوا يرابون، و العباس بن عبد المطلب كان واحداً من أُولئك المرابين الكبار، و ذلك حين أسلموا في فتح مكة، و أرادوا أن يتقاضوا رباهم، أمرهم الله تعالى أن يأخذوا رؤوس أموالهم دون الزيادة ؛ و هو ما نجده في سبب نزولها، حيث لهم أقوال عديدة، نذكر منها ما يخصُّ العباس بن عبد المطلب:

ـ أنها نزلت في العباس بن عبد المطلب و رجل من بني المغيرة كانا شريكين في الجاهلية، سلفاً في الربا إلى أناس من ثقيف من بني عمرو، و هم بنو عمرو بن عمير، فجاء الإسلام و لهما أموال عظيمة في الربا، فأنزل الله: ﴿...**ذَرُواْ مَا بَقِيَ**...﴾، من فضل كان في الجاهلية.

ـ أنها نزلت في العباس بن عبد المطلب و عثمان بن عفان، و كانا قد أسلفا في التمر، فلمّا حضرَ الجَذاذُ، قَالَ لَهُمَا صَاحِبُ التّمرِ: لَا يَبْقَى لي ما يكفِي عِيالي إذَا أنْتُما أخَذْتُمَا حَظَّكُمَا كُلَّهُ، فهل لَكما أنْ تَأْخذَا النِّصفَ وَ تُؤَخِّرَا النِّصْفَ وَ أضْعِفُ لَكُمَا فَفَعَلَا. فلمَّا حَلَّ الْأَجَلُ طلَبا الزِّيادةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رسُولَ اللهﷺ فَنَهَاهُمَا، وَ أنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، فَسَمِعَا وَ أطَاعَا و أخَذَا رُؤُوسَ أمْوَالِهِمَا.

ـ أنها نزلت في بقية من الربا، كانت للعباس و خالد بن الوليد، و كانا شريكين في الجاهلية، يُسلفان في الربا إلى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف، فجاء الإسلام و لهما أموال عظيمة في الربا ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّﷺ: «أَلَا إِنَّ كُلَّ رِبًا مِنْ رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَ أَوَّلُ رِبًا أَضَعُهُ رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، و كلّ دم من دم الجاهلية موضوع، و أول دم أضعه دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب...».

١. سورة البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

و في خبر، أنه صلى الله عليه وآله أكّد هذا التحريم في حجة الوداع على ملإٍ من الصحابة و المسلمين حين قال صلى الله عليه وآله: «ألا إنَّ كلّ ربا من ربا الجاهلية موضوع، لكم رؤوس أموالكم لا تَظلِمون و لا تُظلَمون».[1]

من خلال قراءة لسيرة العباس، وجدته كثير التعلّق بما يمتُّ للبيت الحرام من معالم؛ الكعبة و زمزم... و بالوظائف التي يؤديها في خدمة البيت و روّاده من حجاج و معتمرين، و تهيئة ما يلزمهم من أمان، و دفع أيّ جور عنهم، أو مظلمة يتعرضون إليها... كما كان شديد التعلّق بما يقدمه له رسول الله صلى الله عليه وآله أو يضعه بين يديه، بل كان يصبو لذلك، و يتشرّف به... فوضع صلى الله عليه وآله له ميزاب الكعبة الذي تمنّاه، و ما إن حظي به حتى اعتزَّ به أيما اعتزاز، و عدّه فخراً قدمته له السماء، استجابةً لرسول الله صلى الله عليه وآله و كرامةً له و نعمةً عليه صلى الله عليه وآله و على عمِّه العباس... فقد جاء عن العلّامة المجلسي: ... و لما أمر الله سبحانه نبيَّه صلوات الله عليه وآله بسدّ أبواب الناس من مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله تشريفاً له و صوناً له عن النجاسة؛ سوى باب النبيِّ صلى الله عليه وآله و باب عليّ ابن أبي طالب عليه السلام...، دخل عليه عمُّه العباس، و قال: يا رسول الله! قد علمتَ ما بيني و بينك من القرابة و الرحم الماسة، و أنا ممن يدين الله بطاعتك، فاسأل الله تعالى أن يجعل لي باباً إلى المسجد أتشرف بها على من سواي؟ فقال له عليه وآله السلام: «يا عم! ليس إلى ذلك سبيل». فقال: فميزاباً يكون من داري إلى المسجد؛ أتشرف به على القريب و البعيد. فسكت النبيُّ صلى الله عليه وآله و كان كثير الحياء ـ لا يدري ما يعيد من الجواب خوفاً من الله تعالى، و حياءً من عمّه العباس ـ فهبط جبرئيل عليه السلام في الحال على النبيِّ صلى الله عليه وآله و قد علم الله سبحانه ما في نفسه صلى الله عليه وآله من ذلك، فقال: يا محمد صلى الله عليه وآله: إنَّ الله يأمرك أن تجيب سؤال عمّك، و أمرك أن تنصب له ميزاباً إلى المسجد كما أراد، فقد

---

١. محمد بن حبيب، المنمق: ٥٤، ٦٧، ٤٣٦؛ فريد وجدي، العقد الفريد ٣: ٣١٥؛ صحيح مسلم: ١٢١٨؛ أنساب الأشراف ١: ٨٩؛ الزمخشري، ربيع الأبرار؛ بال الأنفة و الحمية؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق ٧: ٢٣٠؛ الشهاب الخفاجي، طراز المجالس: ٢٢٣.

علمتُ ما في نفسك، و قد أجبتُك إلى ذلك كرامةً لك و نعمةً منّي عليك و على عمّك العباس! فكبّر النبيُّ صلى الله عليه وآله و قال: «أبى اللهُ إلّا إكرامكم يا بني هاشم، و تفضيلكم على الخلق أجمعين»!

ثمّ قام و معه جماعة من الصحابة و العباس بين يديه حتى صار على سطح العباس، فنصب له ميزاباً إلى المسجد، و قال: معاشر المسلمين! إنَّ الله قد شرّف عمّي العباس بهذا الميزاب، فلا تؤذوني في عمّي، فإنه بقية الآباء و الأجداد، فلعن الله من آذاني في عمّي و بخسه حقّه، أو أعان عليه.

و لم يزل الميزاب على حاله مدة أيام النبيِّ صلى الله عليه وآله و خلافة أبي بكر و ثلاث سنين من خلافة عمر، حتى نال بعض الماء ثوب الرجل، فغضب غضباً شديداً، و قال لغلامه: اصعد و اقلع الميزاب، فصعد الغلام فقلعه و رمى به إلى سطح العباس، فسار حتى دخل على أمير المؤمنين عليه السلام، فقصَّ عليه القصة و ما فعل معه عمر من قلع الميزاب. و قال له: يا بن أخي! إنه كان لي عينان أنظر بهما، فمضت إحداهما و هي رسول الله صلى الله عليه وآله و بقيت الأخرى و هي أنت يا عليّ، و ما أظن أن أظلم و يزول ما شرّفني به رسول الله صلى الله عليه وآله و أنت لي، فانظر في أمري ... فأمر الإمام قنبراً: «يا قنبر! إصعد فردّ الميزاب إلى مكانه»، فصعد قنبر فردّه إلى موضعه.

فيما ذكر ابن أبي جمهور الأحسائي ما روي من أنَّ عمر مرَّ بباب العباس، فقطر من ميزاب له قطرات عليه، فأمر عمر بقلعه.

فقال العباس: أو تقلع ميزاباً نصبه رسول الله بيده؟! فقال عمر: و الله لا يحمل من ينصب هذا الميزاب إلّا ظهري، فركب العباس على ظهر عمر، فصعد فأصلحه.

و قد ذكر في الهامش لفظ الحديث من مسند أحمد: كان للعباس ميزاب على طر ق عمر بن الخطاب، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة، و قد كان ذبح للعباس فرخان، فلمّا وافى الميزاب صبّ ماء بدم الفرخين، فأصاب عمر، و فيه دم الفرخين، فأمر عمر

بقلعه، ثم رجع عمر، فطرح ثيابه فلبس ثياباً غير ثيابه، ثمّ جاء فصلّى بالناس. فأتاه العباس، فقال: والله إنه للموضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال عمر للعباس: أنا أعزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسو الله صلى الله عليه وآله! ففعل ذلك العباس.

و بعد أن ذكر هذا، قال في هامش الصفحة: فالحديث هذا دلَّ على جواز نصب الميازيب إلى الطرقات، و انعقد الاجماع عليه، و النبيُّ صلى الله عليه وآله أقرَّ الناس على ذلك، و كذلك الأجنحة و السباطات و السقايف، و على ذلك استمر عمل المسلمين، و لا خلاف في جواز ذلك. إنما الخلاف في أنه هل يضمن صاحبه بما يقع بسببه من الأحداث؟

قال ابن إدريس: لا ضمان لأنَّ الشرع أجازه، فما يقع بسببه غير مضمون. و قال بعضهم: يضمن النصف؛ لأنَّ بعضه في ملكه و بعضه خارج عنه، و اختاره العلّامة في القواعد، و رواية السكوني في الموثق عن الصادق عليه السلام نصٌّ في الضمان.[1]

مواقفه من الخلافة:

مما وصفه به ابنه عبد الله بن عباس حينما سأله معاوية عنه، فقال: رحم الله أبا الفضل، كان والله عمَّ نبيّ الله صلى الله عليه وآله، و قرة عين رسول الله صلى الله عليه وآله سيد الأعمام و الأخدان، جدّ الأجداد، و آباؤه الأجواد، و أجداده الأنجاد، له علم بالأمور، قد زانه حلم، و قد علاه فهم، كان يكسب حباله كلَّ مهند، و يكسب لرأيه كلَّ مخالف رعديد، تلاشت الأخدان عند ذكر فضيلته، و تباعدت الأنساب عند ذكر عشيرته، صاحب البيت و السقاية، و النسب و القرابة، و لِمَ لا يكون كذلك؟ و كيف لا يكون كذلك؟! و مدبّر سياسته أكرم من دبّر، و أفهم من نشأ من قريش و ركب.[2]

---

١. انظر بحار الأنوار ٣٠: ٣٦٣ـ٣٧٠ بتصرف؛ ابن أبي جمهور الأحسائي، عوالي اللئالي ٣: ٦٢٥ باب الديات رقم ٤٠ وهامش الصفحة؛ مسند أحمد بن حنبل ١: ٢١٠.

٢. مستدرك الحاكم، كتاب معرفة الصحابة ٣: ٤٣١٦، رقم ٥٤٩٠.

مـن هـذا الوصـف و غيره، نـرى للعبـاس فهـماً للواقع الاجتماعـي و السـياسي، و قد ذكـروا لـه مواقـف و أقـوالاً، قبيـل أن يقبـض رسـول اللهﷺ و بُعيـد ذلـك، و قـد كان العبـاس واحـداً من آل بيتهﷺ الذين تولّوا غسـلهﷺ و الاشـتغال بمراسـيم دفنه، و كان الإمـام عـليٌّ عليه السلام في مقدمتهم.

١ـ و لعـلَّ أُولى مواقفـه و أقوالـه ؛ تلـك التي في مرض رسـول اللهﷺ و التي تدل على قراءتـه المبكـرة للسـاحة، و وعيـه لمـا يـدور فيهـا، و خبرتـه بتلـك النفوس التـي تشرئب أعناقهـا للإمـارة، و معرفتـه بـما تنطـوي عليه مـن إبعاد خلافة رسـول اللهﷺ عـن البيت النبـويّ، بمعنـى عـن الإمـام عـليٍّ عليه السلام، فقد كان مـن جملـة الهاشـميين الذين انضمـوا إلى عـليٍّ عليه السلام في حيـاة النبيِّ ﷺ.[1]

يتضـح هذا مـن جوابه عن قـول الإمام عـليٍّ عليه السلام:.. يطمع فيه غيرنا؟! فقـال العباس: أظنُّ و الله سيكون!

و قد تعددت في هذا الموضوع الأخبار، و التي منها:

أنَّ العبـاس كان قـد لقـي عليّـاً عليه السلام، فقـال: إنَّ النبيَّ ﷺ يُقبض، فاسـأله إن كان الأمر لنـا بيّنـه، و إن كان لغيرنا أوصى بنـا خيراً.

و عـن عبـد الله بـن كعـب بـن مالـك أنَّ عبـد الله بـن عبـاس أخـبره أنَّ عـلي بـن أبي طالـب عليه السلام خـرج مـن عنـد رسـول اللهﷺ في وجعـه الـذي تـوفي فيـه.

فقال الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول اللهﷺ؟

قال: «أصبح بحمد الله بارئاً»!

و عـن ابـن عبـاس أيضاً أنه قـال: فأخذ بيده العباس بـن عبد المطلب، فقـال : أَلا ترى أنـت والله بعـد ثـلاث عبـد العصـا! إني والله لأرى رسـول اللهﷺ سـيُتوفى في وجعه هذا،

١. السيد الحكيم في كتابه عبد الله بن عباس ١ : ٣٦ .

إني أعـرف وجوه بنـي عبد المطلب عنـد الموت!

فاذهـب بنا إلى رسـول اللهﷺ فلنسـأله فيمن هذا الأمـر من بعده، فـإن كان فينا علمنا ذلـك، و إن كان في غيرنا كلمنـاه، فأوصى بنا!

فقـال عـليٌّ عليه السلام: والله لئـن سـألناها رسـول الله، فمنعناهـا، لا يعطيناهـا النـاس أبـداً، فـو الله لا نسـأله أبـداً!

و عنـه أيضـاً، قـال: أرسـل العباس بـن عبد المطلـب إلى بنـي عبد المطلـب، فجمعهم عنـده. قـال: و كان عـليٌّ عنـده بمنزلـة لم يكـن أحـد بها، فقـال العبـاس: يا بـن أخي، إني قـد رأيـتُ رأيـاً، لم أحـب أن أقطع فيه شـيئاً حتى أستشـيرك، فقـال عـليٌّ عليه السلام: «و ما هو»؟

قـال: ندخـل عـلى النبـيّ ﷺ فنسـأله إلى مـن هـذا الأمـر مـن بعـده، فـإن كان فينـا لم نسـلمه، والله مـا بقـي منـا في الأرض طـارف، و إن كان في غيرنـا لم نطلبهـا بعـده أبـداً!

فقـال عـليٌّ عليه السلام: يـا عم، و هـل هذا الأمـر إلّا إليـك، و هل مـن أحد ينازعكـم في هذا الأمر؟

قال: فتفرقوا، و لم يدخلوا على النبيِّ ﷺ.

و عـن زيـد بـن أسـلم، قـال: جاء العبـاس عـلى النبـيِّ ﷺ في وجعـه الذي تـوفي فيه، فقـال علي بـن أبي طالـب: «مـا تريد»؟

فقـال العباس: أريد أن أسـأل رسـول اللهﷺ أن يسـتخلف منا خليفـة، فقال عليٌّ عليه السلام: «لا تفعـل»! قـال: و لِمَ؟ قـال عليه السلام: «أخشـى أن يقـول لا، فـإذا ابتغينـا ذلـك مـن النـاس، قالـوا: أَليس قـد أبى رسـول اللهﷺ»؟!

عـن محمـد بـن عمـر، حدثني محمـد بن عبـد الله بن أخـي الزهـري: سـمعت عبد الله ابـن حسـن، يحدث عمّـي الزهري، يقـول: حدثتنـي فاطمة بنت حسـين، قالـت: لما توفي رسـول اللهﷺ، قـال العبـاس: يـا عليُّ قـم حتى أبايعـك و من حـضر، فإن هـذا الأمر إذا كان لم يـرد مثله و الأمـر في أيدينا!

فقال عليٌّ عليه السلام: «و أحد يعني يطمع فيه غيرنا»؟ فقال العباس: أظنُّ والله سيكون!

فلـمّا بويـع لأبي بكـر و رجعـوا إلى المسـجد، فسـمع عـليٌّ التكبـير، فقـال: مـا هـذا؟ فقـال العبـاس: هـذا ما دعوتـك إليـه، فأبيت عـليَّ؛ فقال عـليٌّ عليه السلام: «أيكون هـذا»؟ فقال العبـاس: مـا رد مثـل هـذا قط!

فقـال عمـر: قـد خـرج أبو بكر مـن عند النبـيِّ صلى الله عليه وآله توفي، و تخلـف عنده عـليٌّ و عباس و الزبير.

٢ـ لم يقـف العبـاس عنـد هـذا، بل عمـل جـادًّا لمبايعة الإمـام علي بـن أبي طالب عليه السلام بالخلافـة، فهـو يـراه الأنسـب و الأحـقّ بالخلافـة مـن غـيره، بـل «مـا أحـد أولى بمقـام رسـول الله صلى الله عليه وآله منـه»!

فبعـد أن قبض رسـول الله صلى الله عليه وآله قـال العباس لعـليّ بن أبي طالب: أبسـط يـدك أبايعك، فيُقـال: عـمُّ رسـول الله بايع ابـن عمِّ رسـول الله صلى الله عليه وآله و يبايعك أهـلُ بيتك، فـإنَّ هذا الأمر إذا كان لم يقـل (أي إذا بويـع بالخلافة لأحـد لا يُقال منها)!

فقال له عليٌّ عليه السلام: «و من يطلب هذا الأمر غيرنا»؟

و قد كان العباس لقي أبا بكر، فقال: هل أوصاك رسول الله بشيء؟ قال: لا.

لقـى العبـاس أيضـاً عمـر بـن الخطـاب، فقـال له مثـل ذلـك. فقـال عمـر: لا. فقال العبـاس لعـليٍّ: ابسـط يـدك أبايعـك و يبايعـك أهـل بيتك!

أقـول: و تخصيصـه أبـا بكر وعمـر بالسـؤال المذكـور دون غيرهما من الصحابـة، لعلّه يـدلُّ عـلى معرفتـه بـما هـم عليـه مـن رغبـة بالخلافـة أو تخطيـط لهـا، و دليل عـلى خبرته بالسـاحة و مـا يـدور فيهـا و برجالهـا و مـا خططـوا و أعـدّوا لما بعـد انتقال الرسـول صلى الله عليه وآله إلى المـلإ الأعلى.

و عـن عامـر الشـعبي، قـال: قـال رجل لعـليٍّ عليه السلام في المـرض الـذي قبض فيـه؛ يعني

النبيّ صلى الله عليه وآله، إني أكاد أعرف فيه الموت، فانطلق بنا، فنسأله من يستخلف، فإن استخلف منا فذاك، و إلّا أوصى فحفظنا من بعده! فقال له عليٌّ عند ذلك، ما قال. فلمّا قبض النبيُّ صلى الله عليه وآله، قال لعليٍّ: أبسط يدك أبايعك تبايعك الناس، فقبض الآخر يده!

و هناك كلام ذكره ابن شبة (ت٢٦٢هجرية) بعد أن خرج الإمام عليٌّ عليه السلام من عند عمر في قصة الشورى التي عيّنها لاختيار مَن بعده، و تـ قاه العباس بن عبد المطلب، فقال: يا عم عُدِلت عنا!

فقال له العباس: لم أرفعك عن شيء، إلّا رجعت إليَّ مستأخراً! أشرتُ عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أن تسأله فيمن هذا الأمر فأبيتَ، و أشرتُ عليك عند وفاته أن تعاجل الأمر فأبيتَ، و أشرتُ عليك حين سمّاك عمر في الشورى، ألا تدخل معهم فأبيتَ، فاحفظ عليَّ واحدة، كلما عرض عليك القوم، فقل: لا، إلّا أن يولوك، و احذر هؤلاء الرهط، فإنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر، حتى يقوم لنا به غيرنا، و أيم الله لا يناله إلّا بشرّ لا ينفع معه خير![1]

٣ـ أنّه و بعد أن صار أبو بكر خليفةً في السقيفة، كان العباس واحداً ممن تخلّفوا عن بيعته، يقول السيد الحكيم: ... و لم يبايع لذلك أبا بكر رغم محاولاته الواسعة في هذا السبيل، و قد كان له نشاط ملحوظ في شأن الخلافة.[2]

يقول الخبر: ... و إنّ بني هاشم اجتمعت عند بيعة الأنصار إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، و معهم الزبير بن العوام، و كانت أمُّه صفية بنت عبد المطلب، و إنما كان يعدُّ نفسه من بني هاشم، و كان عليٌّ عليه السلام، يقول: «ما زال الزبير منا حتى نشأ بنوه، فصرفوه عنا».

---

١. ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة ٣ : ٩٢٦ ؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٢ :٢٦٢ عن الطبري في تاريخه .

٢. السيد الحكيم، كتاب عبد الله بن عباس ١ : ٣٦ .

و اجتمعت بنو أمية إلى عثمان، و اجتمعت بنو زهرة إلى سعد و عبد الرحمن بن عوف، فكانوا في المسجد الشريف مجتمعين، فلما أقبل عليهم أبو بكر و أبو عبيدة، و قد بايع الناس أبا بكر، قال لهم عمر: مالي أراكم مجتمعين حلقاً شتّى؟ قوموا فبايعوا أبا بكر، فقد بايعته و بايعه الأنصار، فقام عثمان بن عفان و من معه من بني أميّة فبايعوه، و قام سعد و عبد الرحمن بن عوف و من معهما من بني زهرة فبايعوا. و أما عليٌّ عليه السلام و العباس بن عبد المطلب و من معهما من بني هاشم، فانصرفوا إلى رحالهم و معهم الزبير بن العوام.

و عن تاريخ اليعقوبي: تخلّف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين و الأنصار، و مالوا مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام، منهم: العباس بن عبد المطلب، و الفضل بن العباس، و الزبير بن العوام بن العاص، و خالد بن سعيد، و المقداد بن عمرو، و سلمان الفارسي، و أبو ذر الغفاري، و عمار بن ياسر، و البراء بن عازب، و أبي بن كعب.

و أما موقفه الثالث، فقد ظهر منه لما بويع أبو بكر بالخلافة، ذكر ابن أبي الحديد: «لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله و اشتغل عليّ عليه السلام بغسله و دفنه، و بويع أبو بكر، خلا الزبير و أبو سفيان و جماعة المهاجرين بعباس و عليٍّ عليه السلام ؛ لإجالة الرأي، و تكلموا بكلام يقتضي الاستنهاض و التهييج، فقال العباس: قد سمعنا قولكم، فلا لقلّة نستعين بكم، و لا لظنّة نترك آراءكم، فأمهلونا نراجع الفكر، فإن يكن لنا من الإثم مخرج يصرّ بنا و بهم الحقّ صرير الجدجد، و نبسط إلى المجد أكفًّا لا نقبضها أو نبلغ المدى، و إن تكن الأخرى، فلا لقلّة في العدد، و لا لوهن في الأيد، والله لولا أنّ الإسلام قيد الفتك ؛ لتدكدكت جنادل صخر يسمع اصطكاكها من المحل العليّ»!

فحلَّ عليٌّ عليه السلام حبوته، و قال: «الصبر حلم، و التقوى دين، و الحجة محمد، و الطريق الصراط، أيها الناس شُقُّوا أمواج الفتن ...».الخطبة.

ثمّ نهض، فدخل إلى منزله، و افترق القوم.

و قال البراء بن عازب: لم أزل لبني هاشم محبًّا، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم، فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فكنت أتردد إلى بني هاشم، و هم عند النبيّ صلى الله عليه وآله في الحجرة، و أتفقد وجوه قريش، فإني كذلك إذ فقدت أبا بكر و عمر، و إذا قائل يقول: القوم في سقيفة بني ساعدة، و إذا قائل آخر يقول: قد بويع أبو بكر، فلم ألبث و إذا أنا بأبي بكر قد أقبل و معه عمر و أبو عبيدة و جماعة من أصحاب السقيفة، و هم محتجزون بالأزر الصنعانيّة، لا يمرون بأحد إلّا خبطوه، و قدّموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه شاء ذلك أو أبى، فأنكرتُ عقلي، و خرجت أشتد حتى انتهيت إلى بني هاشم، و الباب مغلق، فضربتُ عليهم الباب ضرباً عنيفاً، و قلتُ: قد بايع الناس لأبي بكر بن أبي قحافة!

فقال العباس: تربت أيديكم إلى آخر الدهر ؛ أما إنّي قد أمرتُكم، فعصيتموني!

و لما رأى أبو بكر تخلّفَ هؤلاء القوم عن بيعته ، أرسل إلى عمر بن الخطاب، و أبي عبيدة بن الجراح، و المغيرة بن شعبة، فقال: ما الرأي؟

قالوا: الرأي أن تلقى العباس بن عبد المطلب، فتجعل له في هذا الأمر نصيباً، يكون له و لعقبه من بعده، فتقطعون به ناحية عليّ بن أبي طالب عليه السلام حجّة لكم على عليّ عليه السلام، إذا مال معكم، أو كما يذكر ابن أبي الحديد: و بلغ ذلك أبا بكر و عمر، فأرسلا إلى أبي عبيدة و إلى المغيرة بن شعبة، فسألاهما عن الرأي، فقال المغيرة: الرأي أن تلقوا العباس، فتجعلوا له و لولده في هذه الإمرة نصيباً ؛ ليقطعوا بذلك ناحية علي بن أبي طالب.

فانطلق أبو بكر و عمر و أبو عبيدة بن الجراح و المغيرة حتى دخلوا على العباس، و ذلك في الليلة الثانية من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فحمد أبو بكر الله و أثنى عليه، و قال: إنَّ الله ابتعث لكم محمداً صلى الله عليه وآله نبيًّا، و للمؤمنين وليًّا، فمَنَّ عليهم بكونه بين ظهرانيهم، حتى اختار له ما عنده، فخلَّى على الناس أموراً ؛ ليختاروا لأنفسهم متفقين غير

مختلفين، فاختاروني عليهم والياً، و لأمورهم راعياً، فولّيتُ ذلك، و ما أخاف بعون الله و تسديده وهناً و لا حيرة و لا جبناً، و ما توفيقي إلّا بالله، عليه توكلت و إليه أنيب.

و ما أنفكُّ يبلغني عن طاعن يقول بخلاف قول عامة المسلمين، يتخذكم لجأً، فتكونوا حصنه المنيع، و خطبه البديع، فإما دخلتم فيما دخل فيه الناس، أو صرفتموهم عمّا مالوا إليه، فقد جئناك، و نحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً، و لمن بعدك من عقبك ؛ إذ كنت عمَّ رسول الله صلى الله عليه وآله، و إن كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله صلى الله عليه وآله، و مكان أهلك، ثمَّ عدلوا بهذا الأمر عنكم و على رسلكم بني هاشم؛ فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله منّا و منكم. صاحبك (فعدلوا الأمر) عنكم، و على رسلكم بني هاشم، فإنَّ رسول الله منا و منكم.

فاعترض كلامه عمر، و خرج إلى مذهبه في الخشونة و الوعيد، و إتيان الأمر من أصعب جهاته. فقال: إي والله، و أخرى ؛ أنا لم نأتكم حاجةً إليكم، و لكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم، فيتفاقم الخطب بكم و بهم، فانظروا لأنفسكم و لعامتهم، ثمَّ سكت.

فتكلم العباس، فحمد الله و أثنى عليه، ثمّ قال: إنَّ الله ابتعث محمداً نبيًّا كما وصفت، و وليًّا للمؤمنين، فمنَّ الله به على أمته حتى اختار له ما عنده، فخلى الناس على أمرهم ؛ ليختاروا لأنفسهم، مصيبين للحقّ مائلين عن زيغ الهوى، فإن كنت برسول الله طلبت، فحقّنا أخذت، و إن كنت بالمؤمنين، فنحن منهم ما تقدّمنا في أمركم فرطاً، و لا حللنا وسطاً، و لا نزحنا شحطاً ؛ فإن كان هذا الأمر يجب لك بالمؤمنين، فما وجب ؛ إذ كنا كارهين، و ما أبعد قولك إنّهم طعنوا من قولك أنهم مالوا إليك، و أما ما بذلت لنا، فإن يكن حقّك أعطيتناه فأمسكه عليك، و إن يكن حقّ المؤمنين، فليس لك أن تحكم فيه و إن يكن حقّنا، لم نرض لك ببعضه دون بعض. و ما أقول هذا أروم صرفك عما دخلت فيه، و لكن للحجّة نصيبها من البيان، و أما قولك: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله منّا و

منكم، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله من شجرة نحن أغصانها، و أنتم جيرانها، و أما قولك: يا عمر ؛ إنّك تخاف الناس علينا، فهذا الذي قدمتموه أول ذلك و بالله المستعان.

لما اجتمع المهاجرون على بيعة أبي بكر، أقبل أبو سفيان و هو يقول: أما و الله إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلّا الدم ؛ يا لعبد مناف، فيم أبو بكر من أمركم! أين المستضعفان؟ أين الأذلان؟

يعني عليًّا و العباس.

ما بال هذا (الأمر) في أقلّ حيّ من قريش؟!

ثمّ قال لعليّ: أبسط يدك أبايعك، فو الله إن شئت لأملأنّها على أبي فصيل ـ يعني أبا بكر ـ خيلاً و رَجلاً، فامتنع عليه عليٌّ عليه السلام، فلما يئس منه، قام عنه و هو ينشد شعر المتلمس:

و لا يُقيم على ضيمٍ يُراد به ... إلّا الأذلّان، عَيرُ الحيّ و الوتد
هذا على الخسف مربوط برمّته ... و ذا يُشجُّ فلا يرثي له أحد

و في خبرٍ: فزجره عليٌّ عليه السلام و قال: «والله ما أردت بهذا الّا الفتنة، و انّك والله طالما بغيت للاسلام شرًّا، لا حاجة لنا في نصحك»!

و في خبرٍ آخر: ذهب أبو سفيان للعباس، و قال: أنت عمُّ النبيِّ صلى الله عليه وآله، و أسنّ و أحد من بني هاشم و أولى واحد، فقال له: عجباً يدفعها عليٌّ و يقبلها العباس؟!

و عن هشام بن محمد، قال: أخبرني أبو محمد القرشي، قال: لما بويع أبو بكر، قال أبو سفيان لعليٍّ عليه السلام و العباس: أنتم الأذلان، ثمّ أنشد يتمثل:

إنَّ الهوان حمار الأهل يعرفه ... والحرّ ينكره والرسلة الأجد
ولا يقيم على ضيم يراد به ... إلّا الأذلان عير الحي و الوتد
هذا على الخسف معكوس برمته ... و ذا يشج فلا يبكى له أحد

و هناك أبيات شعرية في مدح الإمام علي عليه السلام، مختلف في نسبتها، فالخوارزمي نسبها

للعباس بن عبد المطلب، حين بويع أبو بكر بالخلافة، و هي:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف ... عن هاشم ثمّ عنها عن أبي حسن
أليس أول من صلى لقبلتكم ... و أعلم الناس بالآثار و السنن
و أقرب الناس عهداً بالنبي و من ... جبريل عون له في الغسل و الكفن
مَن فيه ما في جميع الناس كلهم ... و ليس في الناس ما فيه من الحسن
ماذا الذي ردكم عنه فنعرفه ... ها إن بيعتكم من أول الفتن

و لكن اليعقوبي في تاريخه، و هو أقدم من الخوارزمي، نسبها إلى عتبة بن أبي لهب، فقد جاء في خبر السقيفة: و كان المهاجرون و الأنصار لا يشكون في عليٍّ، فلمّا خرجوا من الدار قام الفضل بن العباس، و كان لسان قريش، فقال: يا معشر قريش، إنه ما حقت لكم الخلافة بالتمويه، و نحن أهلها دونكم، و صاحبنا أولى بها منكم، وقام عتبة بن أبي لهب، فقال:

ما كنت أحسب أنَّ الأمر منصرف ... عن هاشم ثم منها عن أبي الحسن
عن أول الناس إيماناً و سابقةً ... و أعلم الناس بالقرآن و السنن
و آخر الناس عهداً بالنبيِّ و من ... جبريل عون له في الغسل و الكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به ... و ليس في القوم ما فيه من الحسن

فبعث إليه عليٌّ عليه السلام فنهاه.[1]

---

١. انظر في هذا كله الطبقات الكبرى ٢ : ٢٤٥ عدد مغازي الرسول وسراياه ومرضه ووفاته ؛ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١ : ٢١٨ ـ ٢٢٢، ٢ : ٢١، ٣ : ٧٣ ؛ تاريخ الطبري ٣ : ٢١٠ ؛ بحار الأنوار، للعلّامة المجلسي ٢٨ : ٣٢٨ ؛ الإمامة والسياسة : ٢١ ؛ تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٤ ؛ وانظر بخصوص نسبة هذه الأبيات الشعرية، كتاب المناقب، للموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي تحقيق: الشيخ مالك المحمودي : ٤٠ ؛ و في الإصابة، لابن حجر العسقلاني ٣ : ٥١٢ رقم: ٤٥٢٦ نسبها إلى الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب الهاشمي، و هو صاحب الأبيات المشهورة من البسيط في مدح علي عليه السلام: ما كنت أحسب هذا الأمر...

العباس راوياً:

من الفضائل التي تذكر لكلّ من وفق للإسلام يومذاك هو صحبته للنبيِّ صلى الله عليه وآله فهي خير و بركة، و أيضاً الرواية عنه صلى الله عليه وآله و العباس بن عبد المطلب هو من الذين انتسبوا لمدرسة الصحبة النبوية بعد البعثة المباركة، على الاختلاف في وقت إسلامه، و حظي بالرواية عنه صلى الله عليه وآله، فقد روى عنه أولاده عبد الله و عبيد الله و كثير و أُمّ كلثوم و مولاه صهيب و مالك بن أوس بن الحدثان و الأحنف بن قيس و نافع بن جبير بن مطعم و...[1]

في المجلد الأول من مسند أحمد بن حنبل ذكر حديث العباس بن عبد المطلب عن النبيِّ صلى الله عليه وآله.

و مما جاء فيه: دخل العباس على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، إنا لنخرج فنرى قريشاً تحدث، فإذا رأونا سكتوا، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله و درّ عرق بين عينيه، ثمّ قال: «والله لا يدخل قلب امرئ إيمانٌ حتى يحبكم لله و لقرابتي».

و مثله عنه، قال قلت: يا رسول الله إنَّ قريشاً إذا لقي بعضهم بعضاً، لقوهم ببشر حسن، و إذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها. قال: فغضب النبيُّ صلى الله عليه وآله غضباً شديداً و قال: «و الذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبَّكم لله و لرسوله»!

و عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا و بالإسلام ديناً و بمحمد نبيًّا».

و عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب وجهه و كفّاه و ركبتاه و قدماه».

عن بعض بني عبد المطلب، قال قدم علينا علي بن عبد الله بن عباس في بعض

---

١. مسند بني هاشم، الرقم: ١٦٧١ـ١٧٤٠.

تلـك المواسـم قال فسـمعته يقول: حدثنـي أبي عبـد الله بن عباس، عـن أبيه العبـاس، أنه أتـى رسـول الله صلى الله عليه وآله فقـال: يـا رسـول الله أنا عمُّـك كبرت سـني و اقترب أجـلي، فعلمني شـيئاً ينفعنـي الله بـه. قـال صلى الله عليه وآله: «يـا عبـاس أنـت عمّـي، و لا أغنـي عنـك من الله شـيئاً، و لكـن سـل ربَّـك العفـو و العافيـة في الدنيـا و الآخـرة»؛ قالهـا ثلاثـاً، ثـمّ أتاه عنـد قرن الحـول، فقـال له مثـل ذلك.

و له أحاديث أخرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله

«لا تزال أمّتي على الفطرة، ما لم يؤخروا المغرب حتى تشتبك النجوم».

و عنـه ؛ كنـتُ بالبطحـاء في عصابة فيهم رسـول الله صلى الله عليه وآله، فمرّت بهم سـحابة، قلت: يا رسـول الله، علّمني شـيئاً أسأله الله، قال: «سـل الله العافية».

«يـا رسـول الله، إنا نريد أن نكنـس زمزم، و إنَّ فيها من هذه الجِنَّـان (الحيّات الصغار)، فأمر رسول الله بقتلهن».

قلـتُ: يـا رسـول الله، إنَّ قريشـاً جلسـوا، فتذاكـروا أحسـابهم بينهم، فجعلـوا مثلك مثـل نخلـة في كبـوة مـن الأرض. فقـال النبـيُّ صلى الله عليه وآله: «إنَّ الله خلـق الخلـق، فجعلنـي مـن خـير فرقهـم و خـير الفريقـين ثم تخـير القبائل، فجعلنـي من خـير قبيلة ثم تخـير البيوت، فجعلنـي مـن خـير بيوتهـم، فأنا خيرهـم نفسـاً و خيرهـم بيتاً»!

و في خصوص الآية ١٠٠ من سورة التوبة :

﴿وَ السَّـابِقُونَ الأَوَّلُـونَ مِـنَ الْمهَاجِرِيـنَ وَ الأَنْصَـارِ وَ الَّذِيـنَ اتَّبَعُوهُـم بِإِحْسَـانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُـمْ وَ رَضُـواْ عَنْـهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الأَنْهَـارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَـداً ذلِكَ الْفَـوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

فمـا ورد فيهـا هـو تلـك الأجوبـة التـي تولاها العبـاس بن عبـد المطلب عن أسـئلة عفيـف الكنـدي، و هـذه الأجوبـة تُبـين أُولئـك السـابقين الأوليـين، جـاء هـذا في مجمع

البيـان عـن تفسـير الثعلبي: روى إسـماعيل بن أياس بـن عفيف عن أبيه عـن جده عفيف قـال: كنـتُ امـرءًا تاجراً، فقدمـتُ مكة أيـام الحج، فنزلت عـليَّ العباس بن عبـد المطلب، و كان العبـاس لي صديقـاً، و كان يختلـف إلى اليمـن يشـتري العطـر، فيبيعه أيام الموسـم، فبينـما أنـا و العبـاس بمنـى إذ جـاء رجـل شـاب حين حلقـت الشـمس في السـماء، فرمى ببـصره إلى السـماء، ثمّ اسـتقبل الكعبة، فقام مسـتقبلها، فلـم يلبث حتى جاء غـلام، فقام عـن يمينـه، فلـم يلبـث أن جاءت امـرأة، فقامـت خلفهـما، فركع الشـاب، فركـع الغلام و المرأة، فخرَّ الشـاب سـاجداً، فسـجدا معه، فرفع الشـاب، فرفع الغلام و المـرأة، فقلت: يـا عبـاس أمـر عظيم! فقـال: أمـر عظيم! فقلـت: ويحك مـا هذا؟!

فقـال: هـذا ابـن أخي محمد بـن عبد الله بـن عبد المطلـب، يزعـم أنَّ الله بعثه رسـولاً، و أنَّ كنـوز كـسرى و قيـصر سـتفتح عليه، و هـذا الغلام عليّ بـن أبي طالب، و هـذه المرأة خديجـة بنـت خويلـد، و زوجـة محمـد ؛ تابعاه عـلى دينـه، و أيم الله مـا على ظهـر الأَرض كلّهـا أحـدٌ على هـذا الدين غـير هؤلاء!

فقال عفيف الكندي بعد ما أسلم و رسخ الإِسلام في قلبه، يا ليتني كنت رابعاً!

و أخـيراً فقـد ذكـر له الشـيخ الطـوسي قـولاً في كتابه الخـلاف في مسـألة ٤٨ : لا يجوز اسـتقبال القبلـة ولا اسـتدبارها ببول و لا غائط ...، لا في الصحـاري، و لا في البنيان. و به قـال أبـو أيـوب الأنصاري... و قال الشـافعي: لا يجـوز ذلك في الصحـاري دون البنيان. و بـه قال العبـاس بن عبـد المطلب.[1]

أبو طالب في ضحضاح من النار :

هنـاك حديثـان يتعلقـان بـأبي طالب عـمِّ النبيِّ صلى الله عليه وآله، يسـتدل بها القـوم على أنَّـه واحد.

---

١. ابـن ماجة٢ : ٧٣ ؛ المسـلم النيسـابوري، صحيح مسـلم ١ : ٣٥٥ ؛ أبـو داود١ : ٣٥٢ـ٣٥٣ ؛ جواهر البحـار في فضائـل النبـيِّ المختـار١ : ١١١ ؛ مسـند أحمـد بـن حنبل ؛ الشـيخ الطبرسي، مجمـع البيان، الآية ؛ الشـيخ الطوسي، الخـلاف١ : ١٠١ـ١٠٢.

عـن أبي سـعيد الخـدري، أنـه سـمع النبـيَّ ﷺ، و قـد ذكر عنـده عمّه، فقـال: لعلّـه تنفعه شـفاعتي يـوم القيامـة، فيجعـل في ضحضـاح! من النـار، يبلغ كعبيـه، يغلي منـه دماغه.

و الثـاني: مـا أخرجـه كلٌّ مـن البخاري و مسـلم مـن طريق سـفيان الثـوري عن عبد الملـك بـن عميرعـن عبـدالله بـن الحارث قـال: حدثنـا العبـاس بـن عبدالمطلب أنـه قال: قلـتُ للنبـيِّ ﷺ: مـا أغنيـتَ عن عمِّـك؟! فـوالله كان يحوطـك و يغضب لك! قـال: هو في ضحضـاح مـن نـار، و لـولا أنا لـكان في الدرك الأسـفل!

حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سـفيان حدثنا عبد الملـك، حدثنا عبـد الله بـن الحـارث، حدثنا العبـاس بـن عبد المطلب، قـال للنبيِّ ﷺ: ما أغنيـتَ عن عمِّك، فإنـه كان يحوطك و يغضـب لـك! قـال: هو في ضحضـاح من نار، و لـولا أنا لـكان في الدرك الأسـفل من النار!

و في لفـظ آخـر قلـتُ: يـا رسـول الله، إنَّ أبا طالـب كان يحفظك و ينـصرك، فهل نفعه ذلك؟!

قال: نعم، وجدته في غمرات من النار، فأخرجته إلى ضحضاح!

وحدثنا عُبَيْـد الله بـن عمـر القواريري ، عن العبـاس بـن عبـد المطَّلـب ، أنـه قـال: يا رسـول الله، هـل نفعـت أبا طالب بـشيء، فإنـه كان يحوطك ويغضب لك؟ قـال: نعم هو في ضحضاح مـن نـار، ولـولا أنا لـكان في الدَّرْك الأسـفل مـن النار!

أقول :

أولاً: جـاء فيـما نسـب لأبي سـعيد الخـدري (لعلّـه تنفعه شـفاعتي يـوم القيامـة...). و القيامـة لم تقـع بعدُ، فشـفاعة الرسـول ﷺ هي الأُخـرى لم تقع لأبي طالـب، بانتظار يوم القيامة.

بينـما في حديـث العبـاس أنـه ﷺ فعـلاً نفـع عمَّـه، فأنقذه بشـفاعته مـن النـار، و من

دركها الأسفل إلى ضحضاح منها ؛ فالقيامة وفق ما روي عن العباس قد وقعت، و الشفاعة حصلت. و هذا تناف واضح بين متون الطائفتين!

كما أنَّ الشفاعة هنا لمشرك ـ كما تزعمون ـ و المشرك بلا شك من المجرمين، الذين يُتساءل عنهم يوم الدين، و بالتالي تتنافى مع القرآن المجيد القائل: ﴿...**يَتَسَآءَلُونَ عَنِ الْمجْرِمِينَ**﴾ إلى أن يقول: ﴿**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ ٱلشَّافِعِينَ**﴾.[1]

و هذا التعارض مع التنزيل العزيز كاف في سقوط مثل هذه الروايات، فضلاً عن رداءة السند فيه ما يكفي لخوائها أيضاً، و أنها أحاديث موضوعة على لسان العباس بن عبد المطلب و على لسان أبي سعيد الخدري.

وبعد هذه الإشارة المختصرة، التي أكتفي بها، أُذكّر بما قاله السيد الحكيم عن موقف بني هاشم إزاء النبيِّ صلى الله عليه وآله و دعوته، و قد ذكرته في فقرة إسلام العباس، و أُشير أيضاً إلى أنَّ هناك كتاباً تحت عنوان: أبو طالب مؤمن قريش. للشيخ عبد الله الخنيزي، و طبعته الأولى في عام ١٩٦١ م. الأهم في هذا الكتاب هو إثباته إيمان أبي طالب، و بيان الظلم الذي وقع على شخصيته، و لَحَقَ بوجوده المبارك ..، و أي ظلم أبشع من إتهامه بأنه مات مشركاً كافراً، و بالتالي فهو لم يذق طعم الإيمان، و أنَّه يُحشر في ضحضاح من النار. و كما يقول بولس سلامة في مقدمة الكتاب: ١٥ عن مؤلف هذا الكتاب، و أنّه بارع في التحليل: «و لا يخفى أنَّ المؤلف يرصف التهم الباطلة رصفاً بارعاً، و يكثفها ليزيد في شناعتها، و في تهجين كلام المفترين على أهل البيت عليهم السلام و لم يفته الإسناد و الأخذ بقول اساطين التاريخ على ما في اندفاعه من حماسة الشباب و توثب القلم. و لا يفوت صاحبنا التبويب العلمي، فتراه يفصل الأدلة على فضل أبي طالب حيًّا فمحتضراً فميتاً، ثمّ يتطرق إلى ما بعد الموت، و يقيم البرهان بشهادة الرسول ثمّ الإمام ثم أهل البيت، و في هذا الكتاب كثير من اللؤلؤ و قليل من الأصداف»،

١. سورة المدثر: ٤٠، ٤٨.

و قـد ناقش جميع أسـانيد هـذه الروايات، و بـيَّن ضعفها، و تناقض متونهـا، فبعضها يجزم بـأنَّ أبـا طالـب قـد جعـل في ضحضـاح مـن نـار، و أنَّ الشـفاعة قد نفعتـه، فيـما بعضها الثـاني: لعلّـه تنفعـه شـفاعتي، فيجعـل في ضحضـاح يـوم القيامة. و قـد ابتـدأ كلامه عن الحديـث المذكـور بقولـه: أرى أن نقـدم للقارئ أولاً هـذا الحديث في صـوره التي وضعها الوضاعـون. فلمـن أراد الاطـلاع على هـذا الموضـوع ؛ مراجعة هـذا الكتاب.[1]

منزلته عند الصحابة :

ممـا لا ريـب فيـه أنَّ العبـاس بن عبد المطلب لـه منزلة كبـيرة في المجتمع المكّـي ما قبل البعثـة النبويـة المباركـة و ما بعدها، فهـو وجه اجتماعي كبـير، كان رئيسـاً في الجاهلية و في قريش.

يقـول السـيد الحكيم: و من الملاحـظ أنَّ معارضته للسـلطة، لم تؤخـر مقامه في نفوس الخلفـاء الثلاثـة، بـل كانـوا يراعونـه و يكرمونـه و يخصّونه ـ لمكانتـه من النبـيِّ صلى الله عليه وآله و لقوّة شـخصيته ـ بمكانـة ممتازة قلّما يطمع بها أحـد، فكانوا يترحّلون لـه إذا رأوه و هم راكبون؛ إجـلالاً لـه. و قد استسـقى به عمـر في عام الرفادة، و تشـفّع بـه إلى الله.[2]

يسـتمد ذلـك مـن أسرتـه و قبيلته بنـي هاشـم، و مـن وجاهتـه الاجتماعيّة الواسـعة المسـتندة إلى قدراتـه الذاتية و الماليـة، و مواقفه المعروفة بالحكمة، فضلاً عـن توليه و إدارته لسـقاية الحـاج و عـمارة المسـجد الحـرام، و عـززت هـذه المقومـات كونـه عـمَّ النبـيِّ صلى الله عليه وآله و احتفاظـه بمكانـة طيبـة عنـده صلى الله عليه وآله طيلـة مسـيرته قبل البعثـة و بعدهـا، و بقـي العباس عنـد المسـلمين ، و بالذات عنـد الصحابة مهاجريـن و أنصاراً معـروف الفضل، محفوظ المنزلـة، و كيـف لا يكـون له ذلك الفضـل، و تلك المنزلـة، و قد قال فيه رسـول الله صلى الله عليه وآله:

---

١. حديـث الضحضـاح: ٣٧٧ـ ٤٠٤ ؛ و أيضـاً انظر كتاب الغدير، للشـيخ الأمينـي ٨ : ٢٣ـ٢٤ حديث الضحضـاح ؛ و انظـر العدد ١٨ مـن هذه المجلة تحـت عنوان: أبو طالب مأوى الرسـول والرسـالة.

٢. كتاب عبد الله بن عباس ١ : ٣٦ .

«إنما العباس صِنْوُ أبي، فمن آذى العباس فقد آذاني».

فلم يمرّ العباس بعمر و عثمان و هما راكبان و هو راجل، إلّا نزلا حتى يجوزهما إجلالاً له، أو يمشيان معه حتى يبلغ منزله أو مجلسه! و كشاهد على معرفتهم بمكانته و قدره، توسلهم به في صلاة الاستسقاء حين أصيبوا بقحط خطير في المدينة المنوّرة، كما يأتينا.

و لطالما تمنّوا نصيحته و موعظته، اعتقاداً منهم بحكمته ورجاحة عقله وخبرته الطويلة. و لم يبخل بذلك عليهم و على ذوي قرباه، كما نجد هذا في وصاياه و نصائحه الآتية.[1]

الاستسقاء:

الاستسقاءُ: طلب السُقيا، و يقال سقيته و أسقيته، أو طلب الماء عند عدمه و قلّته و من ذلك: ﴿**وَ إِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ**...﴾،[2] طلبوا منه السقيا، فاستسقى موسى ربَّه، إذ استسقاه قومه، أي أنَّه عليه السلام طلب السقيا من الله تبارك و تعالى لقومٍ انتهى الماء عندهم، و الماء مصدر حياة كلِّ شيءٍ، سقيا الإنسان و الأنعام و الزرع. ﴿... **فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَ لَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾.[3] فالاستسقاء كان معروفاً مشروعاً في الأمم السابقة، و كذا الاستغفار، و الاستقامة عوامل و أسباب للاستسقاء و استنزال الغيث: ﴿**يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً**﴾.[4] ﴿**وَ يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَآءَ**

---

١. الصفدي، الوافي بالوفيات ١٦: ٣٦٠ رقم٣٥٨٨ و ٥٩١٣ ؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب.

٢. سورة البقرة: ٦٠.

٣. سورة البقرة: ٦٠.

٤. سورة نوح: ١٠ـ١١.

﴿عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً...﴾.[1] ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُواْ عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّآءً غَدَقاً﴾.[2] فمعنى الاستسقاء هو طلب السُقيا، و صلاة الاستسقاء هي الصلاة التي تُصلى لطلب السُقيا، و الغيث: مطر غزير من الله تعالى، يجلب الخير، و يُغيث من الجدب عندما يكون نزوله شحيحاً أو معدوماً.

في الخلافة الثانية ؛ في عهد عمر بن الخطاب، في السنة السابعة عشرة و الثامنة عشرة، مرَّ على المدينة المنورة و ما حولها عام شديد سمّي بعام الرمادة، فكان عاماً مقفراً مجدباً، اسودّت فيه الأرض من قلّة المطر حتى عاد لونها شبيهاً بالرماد، و ترابها الذي تسفيه الريح كالرماد، بل و ألوان الناس هي الأُخرى مثل الرماد. و قد نفدت الزروع و الأرزاق، فوقعت مجاعة عظيمة، و قحط شديد. كانت الرمادة جوعاً شديداً أصاب الناس بالمدينة و ما حولها، حتى جعلت الوحوش تأوي إلى الإنس، و حتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها، و إنه لمقفر.

جدب عمَّ أرض الحجاز، و جاع الناس جوعاً شديداً و جفلت الأحياء إلى المدينة، و لم يبق عند أحد منهم زاد، فلجأوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فأنفق فيهم من حواصل بيت المال، مما فيه من الأطعمة و الأموال حتى أنفده.[3] فراح الناس يكثرون من الاستغفار و يقرأون: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾. ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾.[4] و لجأوا إلى صلاة الاستسقاء، فشخصت أبصارهم نحو مكة ؛ حيث العباس بن عبد المطلب الذي كان فيها يتولّى سقاية من في الحرم ؛ ليتوسلوا به الآن ، فيكون ساقي الحرمين ؛ ساقي مكة و المدينة

---

١. سورة هود : ٥٢ .

٢. سورة الجن : ١٦ .

٣. انظر تاريخ الطبري ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، وغيرهما .

٤. سورة هود: ٣ .

الـذي نسـب إليـه أنـه قـال في ذلـك الموقـف: يستسـقون بنـا و يتقدمونـا! فـإذا قحطـوا، استسـقوا بهـم، و إذا ذكـروا الخلافـة تمنّوا سـالماً مـولى أبي حذيفـة و الجارود العبـدي، فلو استحيا في وقـت مـن الأوقات لاسـتحيا ثمة![1]

لقـد جاءهـم الغيـث رحمـةً و بركـةً، و حـلَّ الخصـب و الـزرع ـ كـما ذكـرت ذلـك الأخبـار ـ حـين خـرج عمـر عام الرمـادة بالعبـاس بن عبـد المطلب يستسـقي بـه، فقال: جئنـاك بعـمِّ نبينا فأسـقنا، فسـقوا!

و في خـبرٍ: و استسـقى عمـر بـن الخطـاب بالعبـاس عـام الرمـادة ؛ لما اشـتد القحط، فسـقاهم الله تعـالى به، و أخصبـت الأرض، فقال عمر: هذا و الله الوسـيلة إلى الله و المكان منه !

ففـي عام الرمادة، و حيـث أصاب العباد و البلاد قحط وبيل، خرج عمر المسـلمون معه إلى الفضاء الرحب، يصلون صلاة الاستسـقاء، و يضـرعون إلى الله الرحيم أن يرسل إليهـم الغيـث و المطـر، و وقف عمر، و قد أمسـك يمـين العباس بيمينـه، و رفعها صوب السـماء، و قـال: اللهـم إنا كنا نسـقي بنبيك و هـو بيننا... أللهـم و إنا اليوم نستسـقي بعمّ نبيّك فاسْقنا.

عـن أنـس: أنَّ عمر بـن الخطـاب كان إذا قحطوا استسـقى بالعباس بـن عبد المطلب، فقـال: أللهـم إنـا كنا نتوسـل إليك بنبينـاﷺ فتُسْـقِينَا، و إنـا نتوسـل إليـك بعـمِّ نبينـا فاسـقنا، قال: فَيُسْـقَون.

و في خـبرٍ عـن الكلبـي عـن أبي صالـح: أجدبت الأرض عـلى عهد عمر حتـى التقت الرعـاء، و ألقيـت العـصي، و عطلت النعم، فاستسـقى عمـر بالعباس.

عـن ابـن عبـاس: استسـقى عمر بـن الخطـاب بالعبـاس عـام الرمـادة، فقـال: أللهم إنَّ هـؤلاء عبـادك و بنـو إمائـك، أتـوك راغبـين متوسـلين إليك بعمِّ نبيّك، فاسـقنا سـقياً

١. الطبري الإمامي في كتابه المسترشد ٦٩١ـ٦٩٢ .

نافعة؛ تعمُّ البلاد، و تحي العباد، أللهم إنا نستسقيك بعمَّ نبيّك، و نستشفع إليك بشيبته، فسقوا!

و لابدَّ هنا من ذكر رواية عن محمّد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري من طريق موسى بن جعفر، عن أبيه عن أجداده عن جابر: أنّ السِنة لما أصابت أهل المدينة سنة الرمادة، استسقوا ثلاث مرات، فلم يسقوا، فقال عمر بن الخطاب: لأستسقين غداً بمن يسقينا الله به، فأخذ الناس يقولون بعليّ بحسن بحسين، فلمّا أصبح غداً عند العباس، و قال له: اخرج بنا حتى نستسقي الله بك، فقال العباس: يا عمر اقعد في بيتي، فأرسل ـ العباس ـ إلى بني هاشم أن تطهروا و ألبسوا من صالح ثيابكم، فأتوه، فأخرج طيباً فطيّبهم، ثمّ خرج العباس و عليٌّ عليه السلام أمامه و الحسن عليه السلام عن يمينه و الحسين عليه السلام عن يساره و بنو هاشم خلف ظهره، و قال: يا عمر لا تخلط بنا غيرنا، ثمّ أتوا المصلّى فوقفوا. ثمّ إنّ العباس حمد الله و أثنى عليه، فقال: أللّهم إنّك خلقتنا، و علمت ما نحن عاملون به قبل أن تخلقنا، فلم يمنعك علمك بحالنا عن رزقنا، أللّهم كما تفضّلت علينا في أوله، فتفضل علينا في آخره.

قال جابر (راوي الحديث): فما تمّ دعاؤه حتى سحّت السماء، فما وصلنا إلى منازلنا إلاّ بللنا من المطر، فقال العباس: أنا المسقي ابن المسقي ابن المسقي كررها خمس مرات، فقيل لموسى بن جعفر و كيف ذاك؟!

فقال عليه السلام: «استسقى فسقى عام الرمادة، و استسقى عبد المطلب بسقي زمزم، فنافسته قريش، فقالوا: إئذن لنا فيها؟ فأبى فحاكموه إلى راهب إيلياء، فلما كان في الطريق قال للقرشيين: اسقونا، فأبو فركب راحلته، فلما نهضت انبعث من تحت خفها عين، فشرب و سقاهم، فقالوا: إنَّ الذي أسقاك في الفلاة هو الذي أسقاك زمزم، فارجع فلا خصومة لنا معك...و الخامسة: أسقى الله إسماعيل زمزم».

فقد روي عن ابن عباس أنَّ عمر بن الخطاب خرج يستسقي، فقال للعباس: قم

فـادع ربَّك و استسـقِ، أللهم إنا نتوسـل إليك بعـمِّ نبيك! فقام العبـاس، فحمد الله و أثنى عليـه، ثـمّ قـال: أللهم إنَّ عندك سـحاباً، و إنّ عندك مطراً، فانشـر السـحاب، و أنزل فيه المـاء، ثـمّ أنزلـه علينا، و اشـدد به الأصـل، و اطلع بـه الفرع، و أحـي به الـزرع، أللهم إنا شـفعاء إليـك عمن لا منطـق له من بهائمنـا و أنعامنا، شـفعنا في أنفسـنا و أهالينـا، أللهم إنـا لا ندعـو إلّا إيّاك، و لا نرغب إلّا إليك، أللهم اسـقنا سـقياً وادعاً نافعـاً طبقاً مجلجلاً، أللهـم إنا نشـكو إليك جـوع كلِّ جائـع، و عرى كلِّ عـار، و خوف كلِّ خائف، و سـغب كلِّ سـاغب يدعو الله. أللّهم إنه لم ينزل بلاء من السـماء إلّا بذنب، و لا يكشـف إلّا بتوبة، و قـد توّجـه بي القـوم إليك ؛ لمـكاني من نبيّك، و هـذه أيدينا إليك بالرغبة، فاسـقنا الغيث بالذَنـوب، و نواصينـا بالتوبـة، و أنـت الراعـي لا تهمـل الضالّـة، و لا تـدع الكسـير بدار مضيعة، فقد ضرع الصغير، و رقّ الكبير، و ارتفعت الشكوى، و أنت تعلم السرّ و أخفى، أللّهـم فأغثهـم بغياثـك قبل أن يقنطـوا فيهلكوا، فإنه لا ييـأس من رحمتـك إلّا الكافرون. و قبـل أن يغـادر المسـلمون مكانهم، طفقـوا بالعباس يعانقونـه، و يقبّلونـه، و يتبركون به، و يمسـحون أكتافـه و هم يقولـون: هنيئاً لك سـاقي الحرمين!!

الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب:

بعمـي سـقى الله الحجـاز و أهلـه عشـيّة يستسـقي بشيبتـه عمـر
توجّـه بالعبـاس في الجـدب راغبـاً فـما كـرّ حتـى جـاء بالديمـة المطـر
و منـا رسـول الله فيـنا تراثـه فهـل فوق هـذا للمفاخـر مفـتخر

و قال الزبير بن بكار: قال شاعر بني هاشم

رسـول الله و الشـهداء منـا و عبـاس الـذي بعـج الغمامـا

و قال الزبير: و يروى لأبن عفيف النصري في الاستسقاء بالعباس:

مـا زال عبـاس بـن شـيبة غايـة للنـاس عنـد تنكّـر الأيـام
رجـل تفتحـت السـماء لصوتـه مـا دعـا بدعـاوة الإسـلام

فتحت له أبوابها لما دعا فيها بجند مطعمين كرام

و في ذلك يقول حسان بن ثابت:

سألَ الإمامُ وقد تتابعَ جدبُنا فَسَقَى الغمامُ بغرَّةِ العباسِ
عمُّ النبي وصِنو والده الذي وَرِثَ النبيَّ بذاك دون الناسِ
أحيا الإلهُ به البلادَ فأصبحتْ مخضرَّةَ الأجناب بعد الياسِ

و قال آخر:

سأل الإمام و قد تتابع جدبنا فسقى الغمام بغرة العباس
عمّ النبيّ و صنو والده الذي ورث النبي بذاك دون الناس
أحيا الإله به البلاد فأصبحت مخضرة الأجناب بعد الياس

و قال آخر:

رسول الله و الشهداء منا و عباس الذي فتق الغماما.١

حِكمه و وصاياه:

ذاك في الاستسقاء به، و أما في نصائحه و وصاياه، فقد ذكرنا أنَّ من صفاته أنَّه عرف بعقله و حكمته المنبثقة من نشأته و تجاربه الاجتماعيّة الطويلة، فالرجل صاحب تجربة عميقة في تاريخه، و قد قالها لابنه عبد الله بن عباس و هو ينصحه: أنت أعلم مني، و لكني أشدّ تجربة للأمور منك!

و لهذا سُجلت له وصايا عديدة و رائعة لأبنائه و لغيرهم، منها ما عن ابن عباس

١. البلاذري، أنساب الأشراف ٣ : ٨ ؛ الشيخ الصدوق، كتاب من لا يحضره الفقيه ١ : ٣٦١ باب صلاة الاستسقاء رقم ١٥٠٥ ؛ تهذيب تاريخ ابن عساكر، هذبه و رتبه الشيخ عبد القادر الدمشقي الحنبلي ٧: ٢٤٧ـ٢٤٨، قصة الاستسقاء و فيها كلام مفصل ؛ القندوزي، ينابيع المودة لذوي القربى ٢ : ٤٦٧؛ صحيح البخاري ٥: ٢٠ رقم ٣٧١٠ ؛ أحمد بن حنبل رقم ١٧٢١ فضائل الصحابة ؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٣: ١١١ .

أنـه قـال: «كان العبـاس بـن عبـد المطلـب كثـيراً ما يقـول: مـا رأيتُ أحـداً أحسـنتُ إليه إلّا أضـاء مـا بينـي و بينـه، و مـا رأيتُ أحداً أسـأتُ إليـه إلّا أظلم مـا بيني و بينـه، فعليك بالإحسـان و اصطنـاع المعـروف، فإنَّ ذلـك يقي مصارع السـوء».

و أوصـاه، كـما عـن ابـن عبـاس: «قـال لي: يـا بنـيَّ، إنّ الكـذب ليـس بأحد مـن هذه الأمّـة أقبـح منـه بي و بـك و بأهل بيتـك، يا بنـيَّ لا يكوننّ شيءٌ ممّـا خلق الله أحـبَّ إليك مـن طاعتـه، و لا أكـره اليك مـن معصيتـه، فـإنَّ الله ينفعك بذلـك في الدنيـا و الآخرة».

و قـال لـه ناصحـاً: «يـا بنـيَّ، إنَّ الله قد بلغـك شرف الدنيـا، فاطلـب شرف الآخرة، و أملـك هـواك، و احـرز لسـانك إلّا ممـا لك».

و قـال لـه أيضـاً: «يـا بنـيَّ، لا تعلم العلـم لثـلاث خصـال؛ لا لترائي بـه، و لا تماري بـه، و تباهـي بـه. و لا تدعْـه لثـلاث خصـال؛ رغبـةً في الجهالة، و اسـتحياء مـن التعلم، و زهـادة في العلم».

و في نصيحـة أُخـرى لابنـه عبد الله بن عبـاس، لمـا رأى الخليفة الثاني عمـر، و قد قرّبه منـه و اختصّـه: يا بنـيَّ، لا تكذبه فيطرحك، و لا تغتـب عنده أحداً فيمقتـك، و لا تقولن له شـيئاً حتى يسـألك، و لا تفشـين له سرًّا فيزدريك.

و في خـبرٍ أنَّـه قـال لـه: أنـت أعلم منـي، و لكنـي أشـدّ تجربة للأمـور منـك، و أنَّ هذا الرجـل ـ يعنـي عمر ـ قد قربّك و قدّمك، يسـتخليك و يستشـيرك، و يقدمـك على الأكابر مـن أصحـاب رسـول الله صلى الله عليه وآله و إني أوصيـك بخلال أربع: فلا تفشـين لـه سرًّا، و لا يجرينّ أو يُجربـنَّ عليـك كذبـاً، و لا تغتابن عنده مسـلماً، و لا تحدّثه بشـيءٍ حتى يسـألك عنه. أو أنـه قـال لـه: إنَّ هذا الرجل قـد أدنـاك و أكرمك أو يدنيـك، و يقربك، و يختصّـك، و يخلو بـك، و يشـاورك دون نـاس من أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وآله، فاحفظ عني ثلاثاً: اتـقِ الله، و لا تفشـين لـه سرًّا، لا يجربـن عليك كذبـاً، و لا تغتابن عنـده أحداً. قال عامر الشـعبي: فقلت لابـن عبـاس: يـا أبـا عبـاس، كلّ واحدة خير مـن ألف فقـال: نعم، و من عـشرة آلاف!

و أوصاه بوصيته الأخيرة قبيل موته كما يأتينا.

و دخل عثمان بن عفان على العباس، و كان العباس خال أمّه أروى بنت كريز، فقال:

يا خال، أوصني.

فقال: أوصيك بسلامة القلب، و ترك مصانعة الرجال في الحقّ، و حفظ اللسان، فإنَّك متى تفعل ذلك ترضى ربّك، و تصلح لك رعيتك!

و عن حمران بن أبان قال: أرسلني عثمان إلى العباس بعد ما بويع، فدعوته له، فقال: مالك تعبّدتني؟ قال: لم أكن قط أحوج إليك مني اليوم. قال: الزم خمساً، لا تنازعك الأمة خزائمها ما لزمتها، قال: و ما هي؟ قال: الصبر عن القتل، و التحبّب و الصفح، و المداراة، و كتمان السرّ.

و دخل عثمان على العباس في مرضه الذي مات فيه فقال: أوصني بما ينفعني الله به و زودني، فقال: إلزم ثلاث خصال تُصِب بها ثلاث عوام، فالخواص: ترك مصانعة الناس في الحقّ، و سلامة القلب و حفظ اللسان، تُصِب بها سرور الرعية، و سلامة الدين و رضى الرب!

و قد نظم هذه الوصية جملة من العلماء ذكر منهم السخاوي في كتابه التبر المسبوك في ذيل السلوك، قول شيخه ابن حسان و قد كتبه عنه:

أصفح تحبّب ودار اصبر تجد شرفاً و اكتم لسرٍ فهذي الخمس قد أوصى
بهنّ عثمانَ عباسٌ فدع جدلاً وانظر إلى قدر من أوصى وما الموصى الموصّى

قال السخاوي: و قد أنشدنا شيخنا أبو النعيم العقبي في هذا المعنى قوله:

واظب على الخمس التي أوصى بها العباس عمّ المصطفى عثمانا
اصفح و دار اكتم تحبّب و اصبرنّ تزدد بها يا مؤمناً إيمانا

قال: و كذا أنشد البقاعي ممّا لم يعمل بمضمونه قوله:

إن رمت عيشاً صافياً أزمانا لا تتبعاً في الرأي من قدمانا
واصفح تحبّب دارِ واصبر واكتم ال عباس قد أوصى بها عثمانا

قال: و انشدني المحيوي عبد القادر القرشي بعد دهر في ذلك:

احفظ وصاياً قالها العباس إذ أوصى بها عثمان ذا النورين

أقوالهم فيه :

أما العباس بن عبد المطلب عند علماء الرجال في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فالأمر مختلف، تمثّل بأقوال عديدة تبعاً لاختلاف ما ورد فيه من روايات و أخبار بين قادحة أو ذامّة و أُخرى مادحة:

فمن الذّامة: ما رواه الكليني عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن علي بن النعمان، عن عبد الله بن مسكان، عن سدير، قال: كنا عند أبي جعفر عليه السلام، فذكرنا ما أحدث الناس بعد نبيّهم صلى الله عليه وآله و استذلالهم أمير المؤمنين عليه السلام، فقال رجل من القوم: أصلحك الله تعالى، فأين كان عزُّ بني هاشم و ما كانوا فيه من العدد؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: «و من كان بقي من بني هاشم، إنما كان جعفر و حمزة فمضيا، و بقي معه رجلان ضعيفان ذليلان حديثا عهد بالإسلام: عباس و عقيل، و كانا من الطلقاء، أما والله لو أنَّ حمزة و جعفراً كانا بحضرتهما ما وصلا إلى ما وصلا إليه، و لو كانا شاهديهما لأتلفا نفسيهما».

و ما رواه الكشي في ترجمة عبد الله بن العباس، بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام أنه نزل قوله تعالى: ﴿وَ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾.[1] و قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾.[2] في العباس بن عبد المطلب.

---

١. سورة الإسراء: ٧٢.

٢. سورة هود: ٣٤.

و في قرب الإسناد و العياشي عن الرضا عليه السلام يعني الأمر إلى الله تعالى يهدي من يشاء، و زاد العياشي و يضِلّ، و العياشي و القميّ عن السّجّاد عليه السلام نزلت في العباس.

أقول: يعني فيه و في أمثاله إذا عمّم التّنزيل ﴿**هُوَ رَبُّكُمْ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾.

و في تفسير القمي: ﴿**وَ مَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَ أَضَلُّ سَبِيلاً**﴾.

فإنه حدثني أبي عن حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي الطفيل عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «جاء رجل إلى أبي علي بن الحسين عليهما السلام، فقال: إنَّ ابن عباس يزعم أنه يعلم كلَّ آية نزلت في القرآن في أي يوم نزلت و في من نزلت. فقال أبي عليه السلام: سله في من نزلت: ﴿**وَ مَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَ أَضَلُّ سَبِيلاً**﴾. و في من نزلت: ﴿**وَ لاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ**﴾.

و في من نزلت: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَ صَابِرُواْ وَ رَابِطُواْ**﴾.[1]

فأتاه الرجل فسأله، فقال: وددت أنَّ الذي أمرك بهذا واجهني به، فاسأله عن العرش ممَّ خلقه الله و متى خلق؟ و كم هو و كيف هو؟ فانصرف الرجل إلى أبي، فقال أبي: فهل أجابك بالآيات؟ فقال: لا. قال أبي: لكن أجيبك فيها بعلم و نور غير مدع و لا منتحل، أما قوله: ﴿**وَ مَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَ أَضَلُّ سَبِيلاً**﴾. ففيه نزل و في أبيه.

و أما قوله: ﴿**وَ لاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ**﴾. ففي أبيه نزلت، و أما الأخرى ففي أبيه (ابنه) نزلت و فينا.

أقول: لعلّ ما يوضح هذه الأخيرة هو ما جاء في تفسير الصافي، للفيض الكاشاني عن القمّي عن السجاد عليه السلام: «نزلت الآية في العباس و فينا، و لم يكن الرباط الذي أمرنا

١. سورة آل عمران: ٢٠٠.

به، و سيكون ذلك من نسلنا المرابط و من نسله المرابط». و ما روى في ترجمة عبيد الله بن العباس عن كتاب الفضل بن شاذان، عن قيس بن سعد بن عبادة أنه قال: إنَّ هذا (عبيد الله بن العباس)، و أباه لم يأتيا قط بخير...!

و في مقاتل الطالبيين: فيما ذكره عن عبيد الله بن العباس، و أنه انسلَّ من عسكر الإمام الحسن عليه السلام، و أنه دخل عسكر معاوية، و أصبح الناس ينتظرون أن يخرج فيُصلي بهم فصلّى بهم قيس بن سعد بن عبادة، ثمَّ خطبهم فقال: «أيُّها الناس، لا يهولنكم، و لا يعظمن عليكم ما صنع هذا الرجل الوله الورع (أي الجبان)، إنَّ هذا و أباه و أخاه لم يأتوا بيوم خير قط، إنَّ أباه عمُّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج يقاتله ببدر، فأسره أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ فداءه، فقسمه بين المسلمين».[1]

أما الروايات المادحة، فمنها: ما رواه الصدوق، عن محمد بن عمر بن محمد بن سلم بن البراء الجعابي، قال: حدثني أبو محمد الحسن بن عبد الله بن محمد بن العباس الرازي التميمي، قال: حدثني سيدي علي بن موسى الرضا عليه السلام، قال: حدثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدثي أبي جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي محمد ابن علي، قال: حدث أبي علي بن الحسين، قال: حدثني أبي الحسن بن علي، قال: حدث أبي علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليٍّ و فاطمة و الحسن و الحسين و العباس بن عبد المطلب و عقيل: «أنا حرب لمن حاربكم، و سلم لمن سالمكم».

قال مصنف هذا الكتاب رحمه الله: ذكر عقيل و عباس غريب في هذا الحديث لم

---

١. علي بن إبراهيم القمي، تفسير القرآن؛ هاشم الحسيني البحراني، البرهان في تفسير القرآن؛ مقاتل الطالبيين: ٧٣؛ ابن أبي الحديد في شرح النهج١٦: ٤٠؛ الكليني، روضة الكافي، الحديث: ٢١٦؛ رجال الكشي؛ ابن شهر آشوب، المناقب: ٤ باب إمامة أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام، فصلٌ في صلحه مع معاوية.

أسمعه عن محمد بن عمر الجعابي في هذا الحديث.[1]

و يبدو في الحديث (إلّا) ساقطة، فتكون العبارة: ذكر عقيل و عباس غريب في هذا الحديث، لم أسمعه (إلّا) من محمد بن عمر الجعابي في هذا الحديث. أو: ذكر عقيل و عباس غريب في هذا الحديث، لم أسمعه من محمد بن عمر الجعابي (إلّا) في هذا الحديث.

و منها: ما في أمالي الشيخ أبي علي الطوسي، عن أبيه، قال: حدثنا أبو عمر، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا أحمد، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من آذى العباس فقد آذاني».[2]

و منها: مـ في الأمالي أيضاً، عن أبيه، عن أبي الـ تح هلال بن محمد بن جعفر لحفار، عن إسماعيل بن علي الدعبلي، عن أبيه، عن علي بن رزين، عن علي ابن موسى الرضا، عن آبائه عليهم السلام، عـ أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: احفظوني في عمّي العباس، فإنه بقية آبائي».

و منها: ما ورد من التسليم عليه في زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله من بعيد.

أقول: وقع الرجل بين روايات مادحة تتفق مع ما ورد بحقّه من الأخبار و الأقوال العديدة، خاصة من الرسول صلى الله عليه وآله التي تمدح العباس و تثني عليه، و تتفق مع مواقفه دفاعاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله و بين الروايات القادحة المتنافية مع أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله تلـ و مع مواقف العباس لنصرته صلى الله عليه وآله، و أنَّ ما نسب من كلام للصحابي الجليل قيس بن سعد بن عبادة، و الذي يحمل ذمًّا بأنَّ «هذا و أباه و أخاه لم يأتوا بيوم خير قط». فهو يصحُّ عن عبيد الله، لكنه لا يصحُّ عن العباس الذي لم ينقل عنه موقفٌ مضادٌّ للإسلام و نبيّه صلى الله عليه وآله بل نُقل عنه قبل إسلامه و بعده؛ ما نال الثناء من النبيّ صلى الله عليه وآله

---

١. الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٦٤، الحديث ٢٢٣

٢. الشيخ الطوسي، الأمالي ١: ٢٨٠.

و التعظيم له كما في الأخبار ؛ و كذا ما نُسب لقيس من القول عن عبد الله بن عباس الذي يبدو أنه ضحية لما دسّه المناوئين. و الأمر يدعو ـ على الأقل ـ إلى التأمل و الدّقة.

و مع هذا فإنَّ علماء الرجال لهم مبانيهم في تقييم الرجال و تسري على العباس و غيره، و خلاصة أقوال ما تيسّر لي منهم، إلى أنَّ المادحة هي بين سند مجهول و ضعيف، و مرسلة كما وصفوها.

الشيخ علي النمازي الشاهرودي يقول: من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله و أمير المؤمنين عليه السلام.

اختلفت الأقوال و الأخبار في حقّه، و الأولى الإرجاع إلى الكتب المفصلة، مثل كتاب العلّامة المامقاني، فإنّه نقل الأخبار المادحة و الذامّة وقال: الذامّة منها أقوى دلالة ؛ إلى أن قال في آخره: فغاية إكرامنا له سكوتنا في حقّه».

فيما خلص السيد الخوئي بعد أن ذكر أنَّ الشيخ عدّه في رجاله (تارة) من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله و(أخرى) من أصحاب عليٍّ عليه السلام، عند ذكره ابنه عبد الله. و عدّه البرقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله و بعد أن أورد الطائفتين من الروايات، و تصريحه بأنَّ الرواية الأولى فيها الحسن بن عبد الله بن محمد الر زي مجهول، فلا اعتماد على الرواية. و الرواية الثانية فيها عبد الواحد أبو عمر، و أحمد بن يحيى، كلاهما مجهول، على أن الرواية مرسلة، و هي مروية عن ابن عباس، و كيف يمكن الاعتماد على مثل ذلك؟ و الثالثة فيها إسماعيل ضعيف، و هلال و علي بن رزين مجهولان. و أما التسليم عليه، فهو لا يتم، فإنه لا إشكال في إسلام العباس، فلا مانع من التسليم عليه كرامةً لرسول الله صلى الله عليه وآله، على أنه لم يثبت صدور هذه الزيارة من المعصومين عليهم السلام.

و أنَّ روايات الديلمي في إرشاده، فهي لا تدل إلّا على أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعظّم عمَّه العباس، و لا دلالة فيها على وثاقته أو ورعه و قوة إيمانه، على أنها روايات مرسلة لا يمكن الاعتماد عليها.

يخلص السيد الخوئي إلى «أنَّ العباس لم يثبت له مدح، و رواية الكافي الواردة في ذمّه

صحيحة السند، و يكفي هذا منقصة له، حيث لم يهتم بأمر عليّ بـ أبي طالب عليه السلام، و لا بأمر الصديقة الطاهرة في قضية فدك، معشار ما اهتم به في أمر ميزابه.

استوقفتني !!

و أنَّ روايات الديلمي في إرشاده، فهي لا تدل إلّا على أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعظّم عمَّه العباس، و لا دلالة فيها على وثاقته أو ورعه و قوة إيمانه.

لا أدري إذن أيعظّمه رسول الله صلى الله عليه وآله على أي شيء؟! و قطعاً أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لا يُعظّم شخصاً مهما كانت قرابته منه، إلّا إذا كان مستحقًّا للتعظيم، فلا بدَّ من البحث عن أسباب تعظيمه صلى الله عليه وآله لعمّه، حتى لا ندخل في ظلامة الرجل، و في أذية رسول الله صلى الله عليه وآله كما في رواية: لا تؤذوني في عمّي العباس، فإنَّ عمَّ الرجل صنو أبيه.

و في أُخرى: لا تؤذوني و احفظوني في عمّي العباس، و أمثالها. ذكرت هذه الروايات عندنا، فضلاً عن مصادر غيرنا.

فتعالوا معي إلى السيد علي خان المدني، فله حديث واسع عن العباس حول ما زعموه من حديث خصومة عليٍّ عليه السلام و العباس عند عمر بن الخطاب، و أوردوه في صحاحهم، يقول السيد: فنحن نذكر من ذلك طرفاً ثم نتكلم عليه.

و مما جاء في ردوده على زعمهم هذا و غيره: و الذي نعتقده في العباس أنه كان معترفاً لأمير المؤمنين بالخلافة و الإمامة، عالماً ماله من عظيم المنزلة و رفيع المقامة، لا يختلجه في ذلك شكٌّ و لا ريب، بل كان من المتقين الذين يؤمنون بالغيب.

قال السيد عليّ بن طاووس: روى كثير من علماء الإسلام دوام اتحاد العباس مع عليّ عليه السلام. و تولى أمره لما مات، و قد كان من أخصاء عليٍّ؛ حتى روى ابن سعد و هو من أعيان المخالفين لأهل البيت عليهم السلام أنَّ عليًّا هو الذي غسل العباس و تولى أمره لما مات. و قد كان من اختصاص عليٍّ عليه السلام بأولاد العباس قبل تمكنه من خلافته

و بعد انبساط يده و مبايعته ؛ ما يدّل على دوام الصفاء و الوفاء، و قد ذكر ذلك جماعة من العلماء حتى كانوا خواصه في حروبه و ولاياته و في أسراره و احتجاجاته، و ما كان طلب العباس للمـ ث و الصدقات إلّا مساعدة لعليٍّ عليه السلام. و لذلك دفعها العباس إليه. و أما قولهم: إنَّ عليًّا غلب العباس عليها، فغير صحيح ؛ لاستمرار يد عليٍّ و أولاده عليهم السلام عليها، و ترك منازعة بني العباس لهم، مع أنَّ العباس ما كان ضعيفاً عن منازعة عليٍّ عليه السلام، و لا أولاد العباس ضعفاء عن منازعة أولاده في الصدقات المذكورة، و لعلَّ المخالفين أرادوا أن يوقعوا خلافاً بين العباس و عليٍّ عليه السلام...

العباس في مرض فاطمة عليها السلام:

أخرج الشيخ الطوسي في (أماليه)، قال: لما مر ت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مرضها الذي توفيت فيه و ثقلت، جاءها العباس بن عبد المطلب عائداً، فقيل له: إنها ثقيلة و ليس يدخل عليها أحد، فانصرف إلى داره، و أرسل إلى عليٍّ عليه السلام فقال لرسوله: قل له، يا بن الأخ، إنَّ عمَّك يقريك السلام، و يقول لك: قد فجأني من الغم بشكاة حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله و قرة عينه و عيي فاطمة عليها السلام، ما هدّني، و إني لأظنّها أولنا لحوقاً برسول الله صلى الله عليه وآله، الله يختار لها و يحبوها و يزلفها لديه، فإن كان من أمرها ما لا بدَّ منه، فأنا أجمع لك الغداة المهاجرين و الأنصار حتى يصيبوا الأجر في حضورهـ و الصـ ة عليها و في ذل جمال الدين. فقال عليٌّ عليه السلام، و أنا حاضر عنده: «أبلغ عمّي السلام وقل له: لا عدمت إشفاقك و تحنك، و قد عرفتُ مشورت و لرأيك فضل، إنَّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لم تزل مظلومة، و أنا أسألك يا عمِّ أن تسمح لي بترك ما أشرت به، فإنها أوصتني بستر أمرها»!

قال: فلما أتى العباس رسوله بما قاله عليٌّ عليه السلام، قال: يغفر الله لابن أخي، و إنه لمغفور له! إنَّ رأى ابن أخي لا يطعن عليه فيه، إنه لم يولد لعبد المطلب مولود أعظم

بركـةً مـن عـليٍّ، إلّا النبيُّ صلى الله عليه وآله!

إنَّ عليًّـا عليه السلام لم يـزل أسـبقهم إلى كلّ مكرمـة، و أعلمهـم بـكلّ قضيـة، و أشـجعهم في الكريهة، و أشـدهم جهاداً للأعـداء في نصرة الحنيفية، و أول من آمن بـ لله و رسـوله صلى الله عليه وآله![1]

و من وصاياه :

ذكـروا أنَّ العبـاس و هـو في مرضـه الأخـير قـد تحـدّث مـع الإمـام عـليٍّ عليه السلام بـكلام و أوصـاه بأمـور فقد ذكـر ابن أبي الحديـد تحت عنـوان: (وصية العبـاس قبل موته لعليٍّ).

قـرأتُ في كتـاب صنفـه أبـو حيـان التوحيـدي في تقريـظ الجاحـظ، قـال: نقلـت من خـط الصـولي، قـال الجاحـظ: إنَّ العباس بـن عبـد المطلب أوصى علي بـن أبي طالب عليه السلام في علّتـه الـي مات فيهـا، فقـال: أي بنـيَّ إني مشـف عـلى الظعـن عـن الدنيـا إلى الله الذي فاقتـي إلى عفـوه و تجـوزه أكثر مـن حاجتي إلى ما أنصحك فيه، و أشـير عليـك به، و لكن العـرق نبـوض، و الرحـم عـروض، و إذا قضيـت حـقَّ العمومـة، فلا أبـالي بعـد إنّ هذا الرجـل ـ يعنـي عثـمان ـ قد جـاءني مـراراً بحديثـك، و ناظرني ملاينـا و مخاشـنا في أمرك، و لم أجـد عليـك إلّا مثـل مـا أجـد منك عليـه، و لا رأيـت منه لـك إلّا مثل مـا أجد منك لـه، و لسـت تـؤتي مـن قلّة علـم، و لكـن مـن قلّة قبـول، و مع هـذا كلـه، فالـرأي الذي أودعـك بـه أن تمسـك عنه لسـانك و يـدك، و همـزك و غمزك، فإنـه لا يبدؤك مـا لم تبدأه، و لا يجيبـك عـمّا لم يبلغـه، و أنت المتجني و هـو المتأني، و أنت العائب و هـو الصامت. فإن قلـت كيـف هـذا، و قـد جلس مجلسـاً أنـا به أحـقّ؟ فقـد قاربـت، و لكن ذاك بما كسـبت يـداك، و نكـص عنـه عقبـاك ؛ لأنـك بالأمـس الأدنـى، هرولت إليهـم تظنُّ أنهـم يحلون

---

١. انظـر مسـتدركات علـم رجـال الحديـث، للشـيخ عـلي النـمازي الشـاهرودي ٤ : ٣٤٨ رقـم ٧٤٤٣ ؛ معجـم رجـال الحديـث، للسـيد الخوئـي ١٠: ٢٥٤ رقـم ٦١٨٩ ؛ الأمـالي، للشـيخ الطـوسي: ١٥٥ـ١٥٦ رقـم ٢٥٨ ؛ الدرجـات الرفيعة في طبقات الشـيعة، للسـيد علي خان المـدني ١٠: ٩١ـ٩٦ الـكلام طويـل، اختصرناه كثـيراً .

جيدك، و يختمون إصبعك، و يطأون عقبك، و يرون الرشد بك، و يقولون لا بدّ لنا منك، و لا معدل لنا عنك، و كان هذا من هفواتك الكبر، هناتك التي ليس لك منها عذر، و الآن بعد ما ثللت عرشك بيدك، و نبذت رأي عمّك في البيداء يتدهده في السافياء، خذ بأحزم مما يتوضح به وجه الأمر، لا تشار هذا الرجل و لا تماره، و لا يبلغنه عنك ما يحنقه عليك، فإنه إن كاشفك أصاب أنصاراً، و إن كاشفته لم تر إلّا ضراراً، و لم تستلج إلّا عثاراً، و اعرف من هو بالشام له، و من هاهنا حوله من يطيع أمره، و يمتثل قوله، لا تغتر بالناس يطيفون بك، و يدعون الحنو عليك و الحب لك، فإنهم بين مولى جاهل، و صاحب متمن، و جليس يرعى العين و يبتدر المحضر، و لو ظنَّ الناس بك ما تظن بنفسك لكان الأمر لك، و الزمام في يدك، و لكن هذا حديث يوم مرض رسول الله صلى الله عليه وآله فات، ثم حرم الكلام فيه حين مات، فعليك الآن بالعزوف عن شيء عرّضك له رسولُ الله صلى الله عليه وآله، فلم يتم، و تصديت له مرة بعد مرة فلم يستقم، و من ساور الدهر غلب، و من حرص على ممنوع تعب، فعلى ذلك، فقد أوصيتُ عبد الله بطاعتك، و بعثته على متابعتك، و أوجرته محبتك، و وجدت عنده من ذلك ظني به لك، لا توتر قوسك إلّا بعد الثقة بها، و إذا أعجبتك فانظر إلى سيتها، ثم لا تفوق إلّا بعد العلم، و لا تغرق في النزع إلّا لتصيب الرمية، و انظر لا تطرف يمينك عينك، و لا تجن شمالك شينك، و دعني بآيات من آخر سورة الكهف، و قم إذا بدا لك !

و لابن أبي الحديد تعقيب على كلام العباس هذا للإمام عليٍّ عليه السلام بقوله:

قلتُ: الناس يستحسنون رأي العباس لعليٍّ عليه السلام في ألا يدخل في أصحاب الشورى، و أما أنا فإني أستحسنه إن قصد به معنى، و لا أستحسنه إن قصد به معنى آخر، و ذلك لأنه إن أجري بهذا الرأي إلى ترفعه عليهم، و علوّ قدره عن أن يكون مماثلاً لهم، أو أجري به إلى زهده في الإمارة، و رغبته عن الولاية، فكلّ هذا رأي حسن و صواب،

و إن كان منزعـه في ذلـك إلى أنّـك إن تركـت الدخول معهم، و انفردت بنفسـك في دارك، أو خرجـت عـن المدينـة إلى بعـض أموالـك، فإنهـم يطلبونـك، و يضربـون إليـك آبـاط الإبـل، حتـى يولـوك الخلافـة، و هـذا هـو الظاهـر من كلامـه، فليس هـذا الـرأي عندي بمستحسـن؛ لأنـه لو فعل ذلـك لولوا عثـمان أو واحداً منهـم غيره، و لم يكـن عندهم من الرغبـة فيـه عليه السلام ما يبعثهم على طلبـه، بل كان تأخره عنهـم قرّة أعينهم، و واقعـاً بإيثارهم، فـإنَّ قريشـاً كلهـا كانت تبغضه أشـدّ البغـض، و لو عمّر عمـر نوح، و توصـل إلى الخلافة بجميـع أنـواع التوصـل، كالزهد فيهـا تارةً، المناشـدة بفضائله تـارةً، وبما فعلـه في ابتداء الأمـر مـن إخراج زوجتـه و أطفالـه ليـلاً إلى بيـوت الأنصـار، و بـما اعتمـده إذ ذاك مـن تخلّفـه في بيتـه، و إظهـار أنّـه قـد انعكـف عـ جمع القرآن، و بسـائر أنـواع الحيـل فيها، لم تحصـل لـه إلّا بتجريـد السـيف، كـما فعـل في آخـر الأمر، و لسـت ألـوم العرب، لا سـيما قريشـاً في بغضهـا لـه، و انحرافها عنـه، فإنه وترهـا، و سـفك دماءها، و كشـف القناع في منابذتهـا، و نفـوس العـرب و أكبادهم كـما تعلم، و ليس الإسـلام بمانع من بقـاء الأحقاد في النفـوس، كما نشـاهده اليوم عيانـاً، و النـاس كالنـاس الأول، و الطبائـع واحـدة، فأحسـب أنّـك كنـت من سـنتين أو ثـلاث جاهلياً أو مـن بعـض الـروم، و قد قتل واحد مـن المسـلمين ابنـك أو أخـاك، ثـم أسـلمت، أكان إسـلامك يذهـب عنـك ما تجـده من بغـض ذلك القاتـل و شـنآنه؟ كلّا إنَّ ذلـك لغـير ذاهب، هـذا إذا كان الإسـلام صحيحاً و العقيـدة محققـة، لا كإسـلام كثـير مـن العـرب، فبعضهـم تقليـداً، و بعضهـم للطمـع و الكسـب، و بعضهـم خوفـاً مـن السـيف، و بعضهم على طريـق الحميـة و الانتصار، أو لعـداوة قـوم آخريـن من أضـداد الإسـ م و أعدائه.

و اعلـم أنَّ كلّ دم أراق رسـول الله صلى الله عليه وآله بسـيف عليّ عليه السلام و بسـيف غـيره، فـإنَّ العـرب بعـد وفاتـه عليه السلام عصبت تلك الدماء بعـليّ بن أبي طالـب عليه السلام وحده؛ لأنـه لم يكن في رهطه مـن يسـتحق في شرعهـم و سـنتهم و عادتهم أن يعصـب به تلك الدمـاء إلّا بعـليّ وحده،

و هـذه عـادة العـرب إذا قتل منها قتـلى، طالبـت بتلـك الدماء القاتـل، فإن مـات، أو تعـذرت عليهـا مطالبتـه، طالبت بهـا أمثل الناس مـن أهلـه. لما قتل قوم من بنـى تميم أخاً لعمـرو بن هنـد، قال بعـض أعدائه يحـرّض عمـراً عليهم:

مـن مبلـغ عمـراً بـأن المـرء لم يخلـق صباره

وحـوادث الأيـام لايبقـى لهـا إلا الحجـارة

ها إن عجزة أمه بالسـفح أسـفل مـن أواره

تسفي الرياح خلاك كشحيه وقد سلبوا إزاره

فاقتل زرارة لا أرى في القوم أمثل من زرارة

فأمـره أن يقتـل زرارة بـن عـدس رئيـس بنـي تميـم، و لم يكـن قاتـلاً أخـا الملـك و لا حاضراً قتلـه، و مـن نظـر في أيـام العـرب و وقائعهـا و مقاتلهـا عـرف مـا ذكرنـاه.

و روي عن ابـن عباس أنَّـه قـال: كان بـين العبـاس و عـليٍّ عليه السلام مباعـدة، فلقيـتُ عليًّا في مرض العبـاس، فقلـتُ لـه: إن كان لك في النظـر إلى عمِّك حاجة فإته، و مـا أراك تلقاه بعدهـا، فوجـم لها و قـال: تقدمني، و اسـتأذنتُ له فأذن فدخـل، فاعتنـق كلٌّ واحد منهما صاحبـه، و أقبـل عـليٌّ عليه السلام عـلى يده يقبلهـا و يقول: يا عـمِّ ارض عنـي رضي الله عنك.

قـال: قـد رضيـتُ عنـك، ثمّ قـال: يـا بن أخـي، قـد أشرتُ عليـك من قبل بشـيئين، فلـم تقبـل، و رأيـت في عاقبتهما مـا كرهت، و ها أنا أشـير عليـك برأي ثالث، فـإن قبلته، و إلّا نالـك مـا نالـك ممـا كان قبله. قـال عليه السلام: و مـا ذاك يا عمّ؟

قـال: لمـا قبـض رسـول الله صلى الله عليه وآله، أتانـا أبـو سـفيان بن حرب تلـك السـاعة، فدعوناك إلى أن نبايعـك، و قلـتُ لـك: ابسـط يدك أبايعـك و يبايعك هذا الشـيخ، فإنـا إن بايعناك لم يختلـف عليـك أحـد من بني عبـد منـاف، و إذا بايعك بنـو عبد منـاف، لم يختلف عليك قـرشيٌّ، و إذا بايعـك قريـش لم يختلـف عليك أحد مـن العرب.

فقلتَ: أنا بجهاز رسول الله صلى الله عليه وآله مشغول، و هذا الأمر فليس يخشى عليه.

فلم نلبث أن سمنا التكبير من سقيفة بني ساعدة. فقلتَ: يا عمّ ما هذا؟ فقلتُ: ما دعوناك إليه فأبيت! قلتَ: سبحان الله أو كان هذا؟! قلتُ: نعم. قلتَ: أفلا يرد؟! قلتُ لك: و هل ردّ مثل هذا قط؟!

ثمَّ أشرتُ عليك حين طعن عمر، فقلتُ: لا تدخل نفسك في الشورى، فإنّك إن اعتزلتهم قدموك، و إن ساويتهم تقدموك، فدخلتَ معهم، فكان ما رأيت. ثمَّ أنا الآن أشير عليك برأي ثالث، فإن قبلته، و إلّا نالك ما نالك مما كان قبله. إنّي أرى أنَّ هذا الرجل يعني عثمان، قد أخذ في أمر، والله لكأني بالعرب قد سارت إليه حتى ينحر في بيته كما ينحر الجمل، والله إن كان ذلك و أنت بالمدينة لزمك الناس به، و إذا كان ذلك لم تنل من الأمر شيئاً إلّا بعد شرٍّ لا خير معه!

قال ابن عباس: فلما كان يوم الجمل عرضت له و قد قتل طلحة.

فقال: والله لكأن عمّي كان ينظر إلى هذا من وراء ستر رقيق، والله ما نلتُ من هذا الأمر شيئاً إلّا بعد شرٍّ لا خير معه!

و روي أنَّ العباس أوصى عليًّا في علته الي م ت فيها، فقال: أي بنيَّ، إنّي مشرف على الظعن إلى الله الذي فاقتي إلى عفوه و تجاوزه أكثر من حاجتي إلى ما أنصحك فيه، و أشير عليك به، و لكن العرق نبوض و الرحم عروض، و إذا قضيت حقَّ العمومة فلا تأل بي بعد؛ أنَّ هذا الرجل يعني عثمان، قد ناجاني مراراً بحديثك، و ناظرني ملاينا و مخاشنا في أمرك، و لم أجد منه عليك إلّا مثل ما أجده منك عليه، و لا رأيت منه لك إلّا مثل ما رأيت منك له، و لست تؤتى من قلّة علم، و لكن من قلّة قبول، و مع هذا كلّه، فالرأي الذي أودعك به أن تمسك عنه لسانك و يدك، فإنه لا يبدأك ما لم تبدأه، و لا يجبك عمّا لم يبلغه، فإن قلت: كيف هذا، و قد جلس مجلساً أنا صاحبه؟ فقد قاربت، و لكن حديث يوم مرض رسول الله صلى الله عليه وآله فات، ثمّ حرم

الـكلام فيـه حين مـات، فعليـك الآن بالعـزوب عـن شيء أرادك له رسـول الله صلى الله عليه وآله فلـم يتـم، و تصديـت له مـرّة بعد أخرى فلم يسـتقم، و من سـاور الدهر غلـب، و من حرص عـلى ممنـوع تعـب، و على ذلـك فقد أوصيـت عبـد الله بطاعتـك، و بعثته عـلى متابعتك و أوجرتـه محبتـك، و وجـدت عنده من ظني بـه لك لا توتر قوسـك إلّا بعد الثقة بهـا، و إذا أعجبتـك فانظـر إلى سـيئتها، ثـمَّ لا تفـوق إلّا بعد العلـم، و لا تفرق في النـز إلّا لنصيب الرميـة، و انظـر لا بطـرف يمينـك عينـك، و لا تجـز شـمالك شـينك، ودعنـي بآيـات من آخر سـورة الكهـف، و قـم إذا بـدا لك.

و مما ينسب إلى العباس من الشعر ما عزاه إليه الزمخشري في ربيع الأبرار، قال:

إذا مجلـس الإنصـاف حـف بأهلـه ... وحلـت بواديهـم غفـار وأسـلم

فـما النـاس بالنـاس الذيـن عهدتهـم ... ولا الـدار بالـدار التي كنـت تعلم.[1]

وفاته :

لمـا حـضرت العبـاسَ بـن عبـد المطلـب الوفـاةُ، أعتـق مـن العبيـد سـبعين عبـداً في سـبيـ الله تعـالى، و بعـث إلى ابنـه عبـد الله، فقـال لـه: يـا بنـيَّ، إنّي موصيـك بحـبِّ الله عزَّوجـلَّ، و حـبِّ طاعته، و خـوف الله، و خوف معصيته، فإنّك إذا أحببـتَ اللهَ و طاعتَه، نفعـك كلُّ أحـد، و إذا خفـتَ اللهَ و معصيتَـه لم تـضرّ أحـدًا، و إذا كنـتَ كذلـك، لم تكـره المـوتَ متـى أتـاك، و إنّي أسـتودعك الله يـا بنيَّ، ثمّ اسـتقبل القبلـة ؛ فقال: لا إلـه إلّا الله، ثـمّ شـخص بـصره فمات!

حـدث هـذا سـنة اثنتـين و ثلاثين هجريـة في الثـاني عشر من شـهر رجـب، و قيل من

---

١. انظـر ابـن أبي الحديـد في شرحه لنهـج البلاغـة ١٣ : ١٩٨ـ١٩٩عـن تاريخ الطـبري ٢ : ٣١٣ وأيضاً المصـدر نفسـه١٣ : ٢٠٠،٢٩٩ و ١٩٩ـ ٣٠١ ؛ السـيد علي خان المـدني، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٩٨ـ ٩٩ .

شـهر رمضـان، و قيل في أول السـنة المذكورة، و قيل سـنة ٣٤هـ في عهد عثـمان بن عفان، و هـو ابـن ثـماني و ثمانين سـنة بعد أن كفَّ بصره، فانشـغل بتغسـيله الإمامُ عـليٌّ عليه السلام و كلٌّ مـن عبـد الله و عبيـد الله و قثـم أولاد العبـاس، و صلّى عليه أمـيرُ المؤمنين عـليٌّ عليه السلام و معه عثـمان و المسـلمون من خلفه.

و خلاصـة مـا قالـه الـرواة: لما مات العباس بـن عبـد المطلب بعثت بنو هاشـم مؤذناً يـؤذن أهـل العـوالي: رحـم الله من شـهد العباس، فحشـد النـاس و نزلـوا مـن العـوالي، فتقدمـوا إلى البقيـع، فصلّـوا عليـه، يقـول أحدهـم : و مـا رأيـت مثـل ذلـك الخـروج عـلى أحـد مـن النـاس قـطّ، و مـا يسـتطيع أحد مـن النـاس أن يدنـو إلى سريـره، و غلب عليه بنـو هاشـم، فلـما انتهـوا إلى اللحـد ازدحموا عليـه، حتـى خ ص بنو هاشـم، و كانوا هـم الذيـن نزلـوا في حفرته و دلـوه في اللحد، و لقـد رأيت على سريره برد حـبرة قد تقطع مـن زحامهم!

و قـال الواقـدي و غـيره: تـوفي العبـاس في شـهر رمضان سـنة اثنتين و ثلاثـين، و هو ابـن ثـمان و ثمانين سـنة، وكان معتـدل القناة، و دفـن بالمدينـة بالبقيع، و صـلى عليه عثمان بـن عفـان، و كان يقـول حـين نشـب النـاس في أمر عثـمان: أللهم أسـبق بي أمـراً لا أحبّ أن أدركـه قالـوا: و نـزل في حفـرة العبـاس، علي بـن أبي طالـب، و عبد الله و عبيـد الله ابنا العبـاس، و الحسـن و الحسـين ابنـا عـلي عليهم السلام، و قثـم بـن العبـاس، و يقـال إن عثـمان بـن عفـان نـزل في قبره، و قـال عبد الله بـن العباس: لقد كنا محتاجـين إلى نزول أكثـر منا لبدنه و عظمه.

و هـو أول هاشـمي يدفـن في البقيـع بعـد فاطمة بنـت أسد بن هاشـم بن عبـد مناف زوجـة أبي طالـب رضـوان الله عليهـما و والدة الإمام عـلي بن أبي طالـب عليه السلام، و توفيت في السـنة الرابعـة هجريـة رضـوان الله عليهـا ؛ ليدفـن من بعـده أربعة مـن أئمة أهـل البيت الحسـن بـن عـلي و علي بن الحسـين و محمد بن علي الباقـر و جعفر بن محمـد الصادق عليهم السلام.

و بنى عليهم الخليفة العباسي الناصر لدين الله في سنة ٦١٠ قبة معظمة بقيت حتى هدمها الوهابيون في ٨ شوال سنة ١٣٤٤ هـ.

و قد ذكر في إحدى الزيارات للنبيّ صلى الله عليه وآله: ... السلام على عمّك حمزة سيد الشهداء السلام على عمّك العباس السلام على عمّك و كفيلك أبي طالب.

في زيارة يوم الغدير المروية عن الإمام الهادي عليه السلام جاء قوله: «و عمّك العباس ينادي المنهزين يا أصحاب سورة البقرة، يا أهل بيعة الشجرة حتى استجاب له قوم...».

و لما جلس ابن عباس يستقبل التعازي، إذ بإعرابي قد دخل عليه و وضع يده في يده يُعزيه قائلاً:

اصبر نكن بك صابرين فإنما صبر الرعية بعد صبر الرأس
خير من العباس أجرك بعده و الله خيرٌ منك للعباس

فقال ابن عباس: ما عزاني أحد أحسن من تعزيته! و بهذا ودّع المسلمون البقية الباقية من آباء رسول الله صلى الله عليه وآله ليلحقَ رضوان الله عليه بمن سبقه من الصالحين![1]

١. انظر تاريخ الطبري٣ : ٤٢٩، ٤ : ٤٠٠ ؛ تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٧٨ ؛ فضائل الصحابة، للإمام أحمد٢ : ٩٥٧ رقم ١٨٦٢،٢ : ٩٧٠ رقم ١٩٠٥ ؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٣ : ٢٠ . ١ : ٥٣٢ ـ ٥٢٦ ؛ وهناك كتاب مجهول المؤلف، تحقيق عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، مختلف في عنوانه، ولعلّه أخبار الدولة العباسية فيه أخبار العباس وفضائله ومناقبه وفضائل ولده ومناقبهم: ٢٠ـ٢١ . انظر مقدمة التحقيق؛ موقع المكتبة الشاملة ؛ المجلسي، زاد المعاد، أعمال اليوم السابع عشر من شهر ربيع الأول ؛ الغزالي، إحياء علوم الدين ٤ : ١٣١ .